الوحدة الاجتماعية في السنة النبوية «الحج نموذجاً»

للباحثة معيضة بنت عابد الهذلي

المقدمة

الحمد لله الذي نظم بفضله عقد أمتنا بالإسلام، وحمى لآلئ سِمْطه[1] بأخوة الإيمان، وشد خيط نظامه بألفة المحبة، وندى الإحسان، والصلاة والسلام على من ألف به بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار، وعلى آله، وصحبه أولي المكارم، والأفضال.

أما بعد:

فإن خير نعمة ينالها العبد بعد الهداية للإسلام، وبسطة العيش، وكفاية الحال: هي ألفة الجمع، وجمع الإخوان؛ فإنه لا عيش مع الضلال، فإن كانت الهداية، فلا راحة للبال مع جهد الحال، فإن كان الغنى، فلا طيب للعيش مع فرقة الإخوان؛ ولذا لما وجد الأنصار في نفوسهم بعض الموجدة من قسمة الغنائم على الناس يوم حنين وترك الأنصار-ذكَّرهم رسول الله ﷺ بأصول النعم، وأسس السعادة، فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي**»[2].

---

(١) السِّمْط: خيط النظم.

ينظر: المحكم: مادة(س م ط).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف:٤/ ١٥٧٤ برقم=

ولما وعظ الناس في حجة الوداع، ذكَّرهم بأصل وحدتهم تألهًا، ومنشأً، فقال لهم: «**يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد**»[١]، فالرب واحد، والأصل واحد، وذلك يدعوهم إلى أن يكونوا جسدًا واحدًا؛ تآلفًا، وحبًا، فإن هذا هو النعيم الذي ينال به نعيم الآخرة: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**»[٢]، فالوحدة بين المسلمين إذًا فريضة، توصل إليها فرائض، وشِرعة، تتضمن جُملا من الشرائع، وشعيرة تجمع كل المشاعر.

ولأهمية هذا الموضوع كان في قائمة الموضوعات التي طرحها علينا، شيخنا الكريم د.عبد الرزاق بن موسى أبو البصل -وفقه الله- في مادة الحديث الموضوعي -فاخترت هذا الموضوع، وأنا أعلم أنه باب واسع، كثير التشعب، وأن الاقتصار فيه أولى من الاستقصاء، إذ ليس المراد الاستيعاب، بل يكفي فيه حسن الصنعة، وجميل الانتخاب، فقصرت مظاهر الوحدة فيه على الحج، ودرسته نموذجًا؛ ليستدل بالمذكور على المحذوف، وسميته: (الوحدة الاجتماعية في السنة النبوية «الحج نموذجًا» والله أسأل الإعانة، والتوفيق.

=(٤٠٧٥)، عن عبد الله بن زيد بن عاصم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٥/ ٤١١ برقم(٢٣٥٣٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون: ١/ ٥٣ برقم(٢٠٣)عن أبي هريرة .

وأما الدراسات السابقة في هذا الموضوع، فلم أقف على دراسة وافية لجميع جوانب الموضوع، ولكن هناك دراسات في بعض جوانبه مثل:

١- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، لمحمد الغزالي.

٢- الوحدة النفسية .. مفهومها أشكالها وأسبابها وعلاجها، لفضيلة عرفات.

٣- الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة، لمحمد عبد العليم العدوي.

٤- بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، لمحمد عبده يماني.

٥- الإرشاد إلى ما وقع في الفقه وغيره من الأعداد، لابن العماد الأقفهسي.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، ثم الفهارس.

في المقدمة بينت أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

الفصل الأول: مفهوم الوحدة الاجتماعية، ومكونات المجتمع.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوحدة لغة، واصطلاحًا.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الوحدة لغة.

المطلب الثاني: تعريف الوحدة اصطلاحًا.

المبحث الثاني: تعريف الاجتماع لغة، واصطلاحًا.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاجتماع لغة.

المطلب الثاني: تعريف الاجتماع اصطلاحًا.

المبحث الثالث: مكونات المجتمع وعوامل وحدته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكونات المجتمع.

المطلب الثاني: عوامل وحدة المجتمع.

الفصل الثاني: أنواع الوحدة الاجتماعية.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: وحدة الشرائع.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: وحدة المعتقد.

المطلب الثاني: الوحدة الثقافية.

المطلب الثالث: وحدة الغاية، والهدف.

المطلب الرابع: الوحدة السياسية.

المطلب الخامس: الوحدة الاقتصادية.

المبحث الثاني: وحدة الشعائر.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الوحدة الزمانية.

المطلب الثاني: الوحدة المكانية.

المطلب الثالث: وحدة الهيئة، والحال، والصفة.

المطلب الرابع: الوحدة العددية.

المطلب الخامس: الوحدة النوعية.

المبحث الثالث: وحدة المشاعر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مشاعر السعادة، والآمال.

المطلب الثاني: مشاعر الأسى، والآلام.

الفصل الثالث: وسائل الحفاظ على الوحدة الاجتماعية، وتعزيزها، وبيان آثارها.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: وسائل الحفاظ على الوحدة الاجتماعية، والإبقاء عليها.

المبحث الثاني: وسائل تعزيز الوحدة الاجتماعية.

المبحث الثالث: آثار الوحدة الاجتماعية على الأمة.

منهج البحث:

أولاً: جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع:

استعنت في جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع بـ(جامع الأصول من أحاديث الرسول) لابن الأثير، ورجعت أيضًا (الترغيب والترهيب) للمنذري، ولـ(صحيح الجامع الصغير وزياداته) للألباني، للوقوف على عناوين، وتبويبات مفيدة، تعين على توليد فكرة جديدة، أو ترد أخرى بعيدة.

ولم أقصد من الجمع، استيعاب النصوص، وجمعها على وجه الاستقصاء؛ فإن ذلك ممتنع في هذا الوقت القصير، ومستعص على هذا الموضوع الرحيب؛ لشدة اتساعه، وتشعب أطرافه، واكتفيت بالتمثيل، والتنبيه.

ثانيًا: معالجة النصوص:

جهدت وسعي في الوقوف على ما أمكنني الرجوع إليه من شروح

الحديث، أو كتب التفسير، أو كتب الأدب، والبلاغة، وغيرها من الفنون مما هو مظنة شرح، أو تعليق يعين في توضيح الفكرة، وجلو المقصود.

وحرصت على اختيار الألفاظ المناسبة للموضع المراد الاستشهاد له.

ثالثا: الحواشي:

سعيت لأن تكون الحواشي حية نابضة، فلم أقصرها على التوثيق، بل عرفت فيها بالغريب، والمواضع والبلدان، وضبطت المتلبس، والمشكل من الأسماء، والأنساب، ونقلت فيها نصوصًا، وأشعارًا، وتعليقات، وطرفًا ظريفة، وحكايات.

رابعا: التخريج، والتوثيق:

راعيت في التخريج ذكر المصدر المطابق لفظه لما أردت الاستشهاد له، فإن كان اللفظ في الصحيحين، اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما من مصادر السنة الأخرى، قرنته بحكمه، مما هو موجود في كتب المتقدمين من أهل الفن، فإن لم أجد، فأحكام المعاصرين المختصين، فإن وجد غير هذين القسمين، فمرده السهو، والعجز اللذان جبل الخلق عليهما.

وثقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية ما أمكن، فإن كانت باللفظ، عزوت إلى المصدر مباشرة، وإن تصرفت فيها أشرت إلى ذلك بكلمة انظر.

وفي العزو إلى المصادر أذكر رقم الصفحة، والجزء، إلا في معاجم اللغة، فأكتفي بذكر المادة اللغوية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله، وسلم على سيد خلقه أجمعين، محمد، وآله وصحبه، والتابعين.

الفصل الأول

مفهوم الوحدة الاجتماعية، ومكونات المجتمع، وعوامل وحدته.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوحدة لغة، واصطلاحـًا.

المبحث الثاني: تعريف الاجتماع لغة، واصطلاحـًا.

المبحث الثالث: مكونات المجتمع، وعوامل وحدته.

المبحث الأول: تعريف الوحدة لغة، واصطلاحًا.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الوحدة لغة.

الوحدة لغة: الانفراد عن الأصحاب، أي: لا يخالط الناس، ولا يجالسهم، ووحده توحيدًا جعله واحدًا(١).

والوحدة في معنى التوحد، وتوحد برأيه: تفرد به(٢).

المطلب الثاني: تعريف الوحدة اصطلاحًا.

الوحدة اصطلاحًا: هي تفرد الأمة المسلمة بخيريتها على الناس، وتميزها في عقيدتها، ونظمها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، وبأخوة المؤمنين في ظلالها تآلفًا، وتعاونًا، وتراحمًا، كالجسد الواحد(٣).

---

(١) انظر: لسان العرب، و تاج العروس، مادة(و ح د).

(٢) انظر: لسان العرب ، وتاج العروس، مادة(و ح د).

(٣) الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة: ص٣.

المبحث الثاني: تعريف الاجتماع لغة، واصطلاحًا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاجتماع لغة.

الاجتماع لغة ضدّ التفرق، مأخوذ من الجمع وهو: الضم، والتأليف، يقال: جمَع الشّيء: إذا ألّف متفرقه، وأصل المعنى الضّمّ، قال ابن فارس: الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تَضامِّ الشيء. يقال جمعتُ الشيء جمعًا[١]، وجمَعْتُ الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا، وتجمّع القوم، اجتمعوا، وانضمّ بعضهم إلى بعض[٢].

المطلب الثاني: تعريف الاجتماع اصطلاحًا.

الاجتماع تعبير عن غريزة مستكنة في أعماق نفس هذا الإنسان، والجماعة صفة لازمة من صفاته[٣].

قال الجرجاني: الاجتماع: تقارب أجسام بعضها من بعض، واجتماع الساكنين على حدة[٤].

وقال المناوي: الاجتماع مجاورة جوهرين في حيزين، ليس بينهما ثالث[٥].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، مادة (ج م ع).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ج م ع).

(٣) المجتمع الإسلامي: ص١١.

(٤) ينظر: التعريفات: ص٢٣.

(٥) التعاريف: ص ٣٦.

وفي نضرة النعيم: الاجتماع هو أن يلتقي المسلمون، وينضمّ بعضهم إلى بعض ولا يتفرّقوا، أمّا الأمر الّذي يجتمعون حوله، فهو كتاب اللّه، وسنّة رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم[1].

المبحث الثالث: مكونات المجتمع، وعوامل وحدته.

المطلب الأول: مكونات المجتمع.

يتكون المجتمع من الأفراد، والصلات، والعلاقات التي تربط بين الأفراد، كوشائج القربى، وأواصر الصداقة، والخصومات، والمبادلات التجارية[2].

المطلب الثاني: عوامل وحدة المجتمع.

ولكي تقوم الوحدة الاجتماعية بين المسلمين على قواعد متينة، وأسس قوية، لا تُفيؤها الريح، ولا تجعفها العواصف، لابد أن ترتكز على أصلين ثابتين:

الأصل الأول: هو توحيد مصدر الهداية، والتشريع، ومصدر الهداية، والتشريع هو القرآن، والسنة.

والأصل الثاني: توحيد الأصل، والانتماء للإسلام وحده، ونبذ العصبيات، والقوميات، والنعرات الجاهلية[3].

---

(١) نضرة النعيم: ٢/ ٤٢.

(٢) العلوم الاجتماعية وأثرها في المجتمع: ص٧.

(٣) من دروس للشيخ محمد حسان: (الشاملة).

وهذان الأصلان مستمدان من خطبته ﷺ في حجة الوداع، حيث قال: «**يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»[(١)].

فالأصل الأول: توحيد مصدر الهداية، والتشريع، القرآن، والسنة (إن ربكم واحد) فالهداية لا يملكها أحد غير الله، والتشريع، والأمر، والنهي، والحكم، لا تكون إلا له سبحانه، على لسان نبيه ﷺ.

والأصل الثاني: توحيد الأصل، والانتماء للإسلام وحده.

فتوحيد الأصل مستمد من منطوق قوله: (وإن أباكم واحد).

والانتماء للدين يؤخذ من مفهوم نفي التفاضل إلا على أساس التقوى، الذي هو أحد واجبات الدين، ولوازمه، فجعْلُه منطلقًا يفيد أنه نقطة اجتماع، ثم الافتراق في قوة التقوى أو ضعفه، يؤيده رواية «**وإن الدين واحد**»[(٢)]، وحديث: «**المسلم أخو المسلم**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٥/ ٤١١ برقم(٢٣٥٣٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٤/ ٢٢٥، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلًا. قال ابن تيمية: هذا الحديث ضعيف، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه. ينظر: اقتضاء الصراط: ص١٦٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده : ٢ / ٩١ برقم(٥٦٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال: شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ومن هذين الأصلين يمكن تقسيم الوحدة إلى ثلاثة أقسام رئيسية تضم أقساما فرعية، وهي: وحدة الشرائع، وحدة الشعائر[1]، وحدة المشاعر.

وهذه الأقسام الثلاث تنْظِمها جميعا فريضة الحج، فهي شعيرة من شعائر الدين، والشعائر: هي أعلام الدين، وشرائعه الظاهرة، وعلى هذا فهي شريعة.

وفي الحج يكون الاجتماع، والائتلاف، والتعارف، والتحاب، والتكافل، وهذه كلها تؤلف عقدا من المشاعر، ففي الحج تتحقق جميع مظاهر الوحدة الاجتماعية، سواء وحدة الشرائع، أو الشعائر، أو المشاعر.

ولذلك جعلت الحج مدارا لهذه الأقسام، والآن تفصيل هذه الأقسام، وبالله التوفيق، ومنه العون، والتسديد.

---

(١) ذكر هذين القسمين الشيخ سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن).

الفصل الثاني
أنواع الوحدة الاجتماعية

وفيه مباحث:

المبحث الأول: وحدة الشرائع.

المبحث الثاني: وحدة الشعائر.

المبحث الثالث: وحدة المشاعر.

المبحث الأول: وحدة الشرائع.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: وحدة المعتقد.

المطلب الثاني: الوحدة الثقافية.

المطلب الثالث: وحدة الغاية، والهدف.

المطلب الرابع: الوحدة السياسية.

المطلب الخامس: الوحدة الاقتصادية.

المبحث الأول: وحدة الشرائع.

قال -تعالى-: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1].

وهذا الدين هو الذي ارتضاه الله بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

(١) سورة الشورى: ١٣.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[1]، يقـول ابن تيمية- رحمه الله -: سـبب الاجتماع والألفة، جمع الدين، والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له[2].

ولكـي تجتمع الأمـة المسـلمة كلها في وحـدة واحدة، وتكـوّن جماعة متآلفة، لابد أن يكون هذا التشـريع الذي يوحدها، يرضي نوازعها النفسـية، ويسد حاجاتها البدنية، ومعنى ذلك أن يحتوي على النقاط التالية:

١- أن يجد فيه الفرد تحقق أمنه، واستقراره النفسي.

٢- أن يتناول بالإشباع كل حاجاته، ورغباته.

٣- أن يكون تناوله لشؤون الأفراد، وأفعالهم دافعا إلى الوحدة، والتآلف.

٤- أن يكون موائما لكل بيئات الأمة المسلمة.

٥- أن يكون صالحا للتطبيق في كل زمان، وأي مكان[3].

وهـذا مـا هو موجود حقيقة في التشـريع الإسـلامي، فهو تشـريع عادل، يرضـي جميع أفراد أتباعـه، إذ هو ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[5]، فمتـى عملـت الأمة بـه، واجتمعوا عليه، حصل

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) مجموع الفتاوى: (١ ١٧).

(٣) الوحدة الإسلامية: ص٨٥-٨٦.

(٤) سورة فصلت: ٤٢.

(٥) سورة الملك: ١٤.

بينهم من التآلف والتآخي، ما يجعل بعضهم يؤثر إخوانه على نفسه، كما فعل أسلافهم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وذلك مصداق لقوله ﷺ في حجة الوداع: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب اللّه ...**» الحديث[2].

المطلب الأول: وحدة المعتقد.

تتمثل وحدة المعتقد في ثلاثة أمور، جُمعتْ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «**من قال: رضيتُ بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، وَجَبَتْ له الجنةُ**»[3].

فهذه الأصول الثلاثة، هي قطب رحى الدين، وعليها تدور وحدة المعتقد بين المسلمين[4]، وهي الرسالة (الإسلام) الذي جاءت تعاليمه في القرآن والسنة، والرسول الذي جاء بهذه التعاليم، والمُرسِل وهو الله الذي أنزل الكتاب، وأرسل الرسول، وعليه يمكن الحديث عن وحدة المعتقد في البنود التالية: توحيد الرسالة، وتوحيد الرسول، وتوحيد المُرسِل.

---

(١) سورة الأنفال: ٦٢، ٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي -صلى الله عليه وسلم: ٤ / ٣٩برقم(٣٠٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن: ١/ ٢٠٧برقم(٥٢٥)، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٤ / ٢٩برقم(١٥٢٩).

(٤) تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول :١ / ٤٧.

توحيد الرسالة.

فالإسلام هو رمز الوحدة بين المسلمين قال -تعالى-: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(1)، وهو الدين الذي يؤلف بين قلوبهم مهما اختلفت أجناسهم، وتعددت لغاتهم، وتناءت بلدانهم، وتتابعت أجيالهم، فهم أمة واحدة يربطهم جميعًا رابط الدين، والعبودية الحقة لله رب العالمين، وهو الدين الذي رضيه الله لهم: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(2)، ولم يرض بدين سواه ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾(3).

ورحم الله القائل معبراً عن هذه الوحدة، وهذا الانتماء للدين:

أَبِي الإِسْلامُ، لا أَبَ لِي سِواهُ
إذا افتخروا بقيسٍ أو تَمِيمِ(4)

بدعوى الجاهلية لم أجبهم
ولا يدعو بها غير الأثيم(5)

دَعِيُّ القَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ
فيُلْحِقُهُ بِذِي النَّسَبِ الصَّمِيمِ(6)

---

(1) سورة آل عمران: ١٠٣.

(2) سورة المائدة: ٣. وينظر: المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية: ١ / ١.

(3) آل عمران: ٨٥.

(4) الحلل في شرح أبيات الجمل: ١ / ٣٧.

(5) البصائر والذخائر: ١ / ٤٧٧.

(6) الحماسة البصرية: ١ / ١٣٢.

وما كَـــرَمٌ ولـــو شَـــرُفَـــتْ جُـــدُودٌ

ولـــكـــنَّ الـــتـــقـــيَّ هـــو الـــكَـــرِيـــمُ[١]

وأحسن منه، وأصدق قوله -تعالى-: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾[٢].

والشاهد: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ أي: دينكم دين واحد[٣]، والأمة تطلق على الدين[٤]، وقوله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾[٥].

---

(١) الشعر والشعراء:١ / ١١٧.

(٢) المؤمنون: ٥٢.

(٣) ينظر: عمدة القاري :٢٨ / ١٢.

(٤) وهذا أحد استعمالات لفظ «الأمة» وهناك استعمالات أخرى، قال الشنقيطي: استعمل لفظ «الأمة» في القرآن أربعة استعمالات:

الأول: هو استعمال الأمة في المدة، والبرهة من الزمن. كقوله: ﴿ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ ﴾ هود:٨، وقوله -تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ يوسف:٤٥، أي تذكر بعد مدة.

الثاني: استعمالها في الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله: ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ﴾ القصص: ٢٣، وقوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞ ﴾يونس: ٤٧، وقوله ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ البقرة:٢١٣، إلى غير ذلك من الآيات.

الثالث: استعمال «الأمة» في الرجل المقتدى به؛ كقوله: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ ﴾ النحل: ١٢٠.

الرابع: استعمال «الأمة» في الشريعة، والطريقة؛ كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾ الزخرف:٢٣، وقوله: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ المؤمنون: ٥٢، إلى غير ذلك من الآيات.

ينظر: أضواء البيان:٢ / ١٧٣ - ١٧٤.

(٥) الحجرات:١٠

وقوله ﷺ: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله -عز و جل- في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله -عز و جل- عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»**(١). وقال ﷺ: **«والأنبياء إخوة لعَلاَّت**(٢) **أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»**(٣). الشاهد: (ودينهم واحد) أي: أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وفروع شرائعهم مختلفة، شبّه ما هو المقصود من بعثة جملة الأنبياء -وهو إرشاد الخلق- بالأب، وشبّه شرائعهم المتفاوتة في الصورة بالأمهات(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٢ / ٩١ برقم(٥٦٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) العَلات: جمع عَلّة -بالفتح- من العلل، وهو الشربة الثانية.

والعلات: جمع علة، وهي الزوجة بعد الزوجة، أي: إن الرجل يكون تحته عدة نسوة.

وأولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد. أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة.

ينظر: مشارق الأنوار: ٢ / ٨٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ٥٥٩، وشرح بلوغ المرام: ٥٣ / ٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ ٣ / ١٢٧٠ برقم(٣٢٥٩)

(٤) فيض القدير: ٣ / ٦٢.

وقال ابن كثير: يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له، بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ سورة المائدة: ٤٨، وينظر: تفسير ابن كثير: ٥ / ٣٧١.

وتوحيد الرسول.

فلم يجعل للأمة نبيًّا سوى محمد ﷺ وجعله خاتم النبيين، وقد كانت الأمم من قبل إذا هلك نبيهم بعث الله لهم نبيا يخلفه، قال ﷺ «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي**»[١].

وجعل شريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع السابقة؛ ولهذا جاء عن النبي ﷺ في حق موسى في بعض الأحاديث أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[٢]، وعيسى بن مريم إذا نزل في آخر الزمان من السماء، فإنه سيحكم بشريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام[٣]، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية**»[٤].

وبذلك نرى كيف جمع الناس على هذا النبي ﷺ حتى على تقدير وجود نبي سابق للنبي ﷺ، أو من سينزل منهم آخر الزمان، فإنه لا يسعه إلا اتباع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٣/ ١٢٧٣ برقم(٣٢٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٣/ ٣٨٧ برقم(١٥١٩٥) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) شرح سنن أبي داود: ٦/ ٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير: ٢/ ٧٧٤ برقم(٢١٠٩).

نبينا محمد ﷺ، وفي هذا قطع الحجة على أهل الكتاب الذين يخالفونه، ولا يتبعونه.

وتوحيد المُرسِل.

وهذا الأمر أعظم ما يلزم المسلم التوحيد فيه، وهو قبل كل وحدة، وكما يقال: كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، وهو توحيد الله -تعالى- في أسمائه، وصفاته، وتوحيده في أفعاله، وتوحيده بأفعالنا.

وقد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

ولما أراد النبي ﷺ أن يوحد الناس على هذا الدين أمره الله -تعالى- أن يقول لهم: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾[2] ولما دعا المخالفين من أهل الكتاب إلى الإسلام أمره أن يذكرهم بأمر يشتركون فيه، وكلمة لابد أن يقروا بها جميعا فقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾[3]، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[4].

وصرح النبي ﷺ بهذا المعنى في حجة الوداع، فقال وهو يخطب في

---

(١) الأنبياء: ٩٢. وفي سورة المؤمنون: ٥٢. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾.

(٢) سورة الشورى: ١٥.

(٣) سورة آل عمران: ٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٥.

الناس: «**يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد**»[١].

فكيف لا تتوحد أمة ربها واحد، ودينها واحد، ونبيها واحد، وأبوها واحد؟!

المطلب الثاني: الوحدة الثقافية[٢].

يشكل القرآن الكريم، والسنة المشرفة أساس الوحدة الثقافية لأمتنا، فهما قد أعطيا المسلمين تصوراً واحداً عن الكون، والحياة، والإنسان، و يظهر في الحج مزيجٌ من الثقافات المتعددة تؤلف وحدة ثقافية كبيرة، فالحج فرصة كبيرة للتبادل الثقافي، والتعرف على كثير من العلوم، والمعارف، والفنون، فقد كان للعرب في الجاهلية أسواقٌ تقام في مواسم الحج، وكانت أسواقًا تجارية، وأدبية على حد سواء، كسوق عكاظ[٣]

---

(١) فتح الباري:٦ / ٥٢٧.

(٢) وقد شكل القرآن الكريم، والسنة المشرفة أساس الوحدة الثقافية لأمتنا، فهما قد أعطيا المسلمين تصوراً واحداً عن الكون، والحياة، والإنسان، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة:٥ / ٢١٥.

(٣) عكاظ: تقع سوق عكاظ بين مكة والطائف، وهي إلى الطائف أقرب، سميت بذلك لأن العرب كانت تجتمع فيها، فيعكظ بعضهم بعضًا في المفاخرة أي: يقهره، ويغلبه، أو أنها مأخوذة من التعكُّظ، وهو احتباس الناس للنظر في أمورهم، وكانت تستمر عشرين يومًا، من أول ذي القعدة إلى العشرين منه، على خلاف في ذلك، وهي أشهر أسواق العرب، وأعرقها، بل وأعظمها شأنًا في الجاهلية، والإسلام، وفي عكاظ، علّقت القصائد السبع الشهيرات، وكان يقصدها قس بن ساعدة الإيادي الخطيب المفوه، الذي كان يعظ في الناس، ويذكِّرهم=

ومجنة[1] وذي المجاز[2]. وكانوا يعرضون فيها سلع الشعر؛ فيتنافس الشعراء، ويقوم بينهم المحكمون من أمثال النابغة، فيحكمون للمتفوق ببراعته[3]، وما كانت قصائد المعلقات السبع[4] الشهيرة التي سار بحسنها

=بعظمة الخالق. وكانت شؤون هذه السوق لقيس بن عيلان، وثقيف.

اتخذت هذه السوق بعد عام الفيل ببضع عشرة سنة، ثم تضاءل شأنها بعد سنة ١٢٩ هـ بظهور حركة الخوارج الحرورية، فخربت بعد ذلك، وهُجِرت. ينظر: الموسوعة العربية العالمية.

(١) مَجَنَّة: -بفتح الميم، وتشديد النون المفتوحة، وآخره تاء مربوطة- واسمها مشتقّ من الجن، أو الجنون، أو الجَنَّة التي هي البستان، وقد كانت ذات جمال، ومياه، وتعقد بأسفل مكة، بمرّ الظهران، وهو وادي فاطمة في أيامنا هذه، يذهب الناس إليها بعد عكاظ، ويقيمون بها العشر المتبقية من ذي القعدة، حتى يروا هلال ذي الحجة، فينتقلوا إلى ذي المجاز، وكانت أقل شأنًا من عكاظ، وذي المجاز إلاّ أنها تستوي معهما في الاحترام، حتى كانت قريش، وغيرها من العرب تقول: (لا تحضروا سوق عكاظ، ومجنة، وذي المجاز إلاّ محرمين بالحج).

ينظر: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص٨٢، والموسوعة العربية العالمية.

(٢) سميت بذلك؛ لأن إجازة الحجيج تكون منها إلى عرفات. وهي على مسافة ثلاثة أميال من عرفات بناحية جبل كبكب. وقيل: هي بمنى بين مكة وعرفات. وهذه السوق من ديار هذيل، وهم أهلها وجيرانها، وتأتي هذه السوق في الأهمية بعد عكاظ. ينظر: الموسوعة العربية العالمية.

(٣) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي.

(٤) وقيل: عشر، وهي:

معلقة امرؤ القيس، ومطلعها:

=

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ومعلقة طرفة بن العبد، ومطلعها:

لِـخَـوْلَـةَ أطْـلالٌ بِـبُـرْقَـةِ ثَهْمدِ   تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

ومعلقة زهير بن أبي سلمى، ومطلعها:

أَمِـنْ أُمِّ أَوْفَـى دِمْنَـةٌ لَـمْ تَكَلَّـمِ   بِحَوْمَانَـةِ الـدّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّـمِ

ومعلقة لَبيد بن ربيعة العامري، ومطلعها:

عفتِ الـديـارُ محلُّها فمُقامُهَا   بمنًى تـأبَّدَ غَـوْلُـهـا فَـرِجَـامُـهَـا

ومعلقة عنترة بن شداد العبسي، ومطلعها:

هَـلْ غَـادَرَ الـشُّـعَـرَاءُ مـنْ مُـتَـرَدَّمِ   أم هَـلْ عَرَفْتَ الـدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

ومعلقة عمرو بن كلثوم ، ومطلعها:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا   وَلاَ تُبْقِي خُـمُـورَ الأَنْـدَرِيـنَـا

ومعلقة الأعشى، ومطلعها:

وَدّعْ هُـرَيْـرَةَ إنّ الرَّكْبَ مرْتَحِلُ   وَهَلْ تُطِيقُ وَداعـًا أيّهَا الرّجُلُ ؟

ومعلقة الحارث بن حلزة، ومطلعها:

آذَنَـتْـنَـا بِـبَـيْـنِـهـا أَسْـمَـاءُ   رُبَّ ثَـاوٍ يَـمَـلُّ مِـنْـهُ الـثَّـواءُ

ومعلقة النابغة الذياني، ومطلعها:

يَـا دَارَ مَـيَّـةَ بالعَلْيَاءِ ، فالسَّنَدِ   أَقْوَتْ ، وطَالَ عَلَيهَا سَالِفُ الأَبَدِ

ومعلقة عبيد بن الأبرص الأسدي، ومطلعها:

أَقْـفَـرَ مِـنْ أَهْـلِـهِ مَـلْـحـوبُ   فَـالْـقُـطَـبِـيّـاتُ فَـالـذُّنُـوبُ

=

الركبان لتذاع وتنشر، لولا هذه الأسواق، فقد كانت تلك الأسواق منتديات أدبيــة، تــؤدي دورًا مهمًّا في حياة العــرب الدينية، والثقافيــة، والاقتصادية، والاجتماعية.

ولكــي نرى بوضوح كيف كان الحج ميدانا فسـيحا للتعارف، والتقارب الثقافي، ومن ثم الوصول إلى وحدة ثقافية نذكر قصة عرض النبي ﷺ دعوته في مواسـم الحـج، فقـد روي أن رسـول الله ﷺ كان يغشـى هذه الأسـواق يدعـو من كان يحضر المواسـم إلى الإسـلام، وكان فيمن دعاهـم بنو عامر ابـن صعصعـة، ولكن لم تجد دعوته قبولاً في أول أمرهـا، ثم كان ما كان من تمكين الله له، حيث اتفق له النفر من الأنصار، فعرض عليهم الإسلام، فكان ذلك اللقاء بذرة لدولة الإسلام العظيمة في المدينة، والتي كان بدء أمرها بيعة العقبة الأولى في موسم الحج، تذكر كتب السير أنه لما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ خرج رسـول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان صنع في كل موسم، فبينما هو عنـد العقبة، لقي رهطا من الخزرج، فكلمهم، وعرض عليهم الإسـلام، وتلا عليهم القرآن، فأجابوه فيما دعاهم إليه، وصدقوه، وقبلوا منه، وفي العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولـى ، فبايعـوا رسـول الله ﷺ على بيعة النسـاء ، ألا يسـرقوا ، ولا يزنوا،

= ينظر: شرح المعلقات العشر: ص١٩، ٧١، ١١٣، ١٤١، ١٨٥، ٢٢٣، ٢٥٩، ٢٩٣، ٣١٧، ٣٤١.

إلى آخر الآيـة[١]، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب[٢]، فلما انصرف عنه القوم بعث رسـول اللهﷺ معهم مصعب بن عمير يقرئهـم القرآن، ويعلمهم الإسـلام ، وفي العـام التالـي خرج من خـرج من الأنصار من المسـلمين مع حجـاج قومهم من أهل الشـرك، حتى قدمـوا مكة، فواعدوا رسـول الله ﷺ العقبـة من أواسـط أيام التشـريق، فكانت بيعة العقبـة الثانيـة[٣]، التي كانت

(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الممتحنة: ١٢.

(٢) الروض الأنف:٢ / ٢٤٧.

(٣) يقـول كعب بن مالك الأنصـاري -رضي الله عنه- عن تلك البيعـة: خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسـول الله ﷺ بالعقبة من أوسـط أيام التشـريق، فلما فرغنا مـن الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حَرَام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا ـ وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشـركين أمرنا ـ فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر، إنك سـيد من سـاداتنا، وشـريف من أشـرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدًا، ثم دعوناه إلى الإسـلام، وأخبرناه بميعاد رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم- إيانا العقبة، قال : فأسـلم، وشـهد معنـا العقبـة، وكان نقيبًا . قال كعب : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، نتسلل تسلل القَطَا، مسـتخفين، حتى اجتمعنا في الشِّـعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسـبعون رجلًا، وامرأتان من نسـائنا؛ نُسَـيْبَة بنت كعب ـ أم عُمَارة ـ من بني مازن بن النجار، وأسـماء بنت عمرو ـ أم منيع ـ من بني سلمة، فاجتمعنا في الشعب، ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جاءنا،=

تمهيدا، وإعدادا لهجرته ﷺ التي كان بها جمع المسلمين، ووحدتهم[1].

ووحدة الثقافة للأمة المستمدة من مصادر التشريع تعني وحدة العمل،

= ومعه عمه: العباس بن عبد المطلب ـ وهو يومئذ على دين قومه ـ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، وكان أول متكلم.

ينظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ١٩٢، والرحيق المختوم:١ / ١١٤.

(١) ومن مظاهر الوحدة الثقافية في الحج خطبة يوم عرفة، وخطبة يوم النحر.

والأئمة يختلفون في عدد خُطب الحج التي خطبها ﷺ، فالمتفق عليها خطبتان: الأولى: أنه خطب في يوم سابع ذي الحجة، وبيّن للحجاج ما يلزمهم عمله في غدهم، أي: في يوم التروية، ، فبيّن لهم أنهم سيذهبون إلى منى قبل الزوال، ويصلون الفروض الخمسة بمنى، ثم يخرجون من منى صبيحة يوم عرفة بعد طلوع الشمس إلى آخره، هذه أول خطبة.

الخطبة الثانية: خطبة يوم عرفة، وهاتان الخطبتان وقع عليهما الإجماع. وبعد هذا يأتي الخلاف في خطبتين: خطبة يوم النحر، وخطبة ثاني أيام العيد الذي هو أول أيام التشريق.

ينظر: شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم: ١٠ / ١٨١.

ولكي تبقى وحدة الأمة الفكرية، والثقافية، وتستمر، ابتكر العلماء وسائل تعين على ضبط العلوم، وتسهيل فهمها، فتوجهوا إلى مصدري الثقافة الإسلامية: الكتاب، والسنة، واخترعوا الأدوات التي تساعد على توحيد فهم حقائقهما، فكانت علوم المكي، والمدني، والناسخ والمنسوخ، والنحو، والصرف، والبلاغة، ومصطلح الحديث، وترجمة الرجال، وعلوم الدراية، والرواية، وعلم أصول الفقه، ومدارس التفسير، ومعاجم اللغة... .

ينظر: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل: ٨ / ٢١٠).

والسلوك؛ لأن الشريعة هي التي توحد عمل المسلمين، وخططهم، وسلوكهم في مجالات الحياة المختلفة[١].

المطلب الثالث: وحدة الغاية، والهدف.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] ففي هذه الآية بيان للحكمة الشرعية التي خلق الله من أجلها الناس، وهي أن يكلفهم بعبادته، بالامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهيه[٣].

وفي قوله: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[٤] بيان للغاية، والمصير الذي ينتهي إليه الخلق بعد الموت؛ لأن دخول الجنة، والنجاة من النار أمر عظيم جداً؛ ولأجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل[٥]، وهي منتهى سؤل المؤمن، ومحط عصا ترحاله، قال النابغة الجعدي رضي الله عنه:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرًا

فقال النبي ﷺ: «**إلى أين يا أبا ليلى؟**» قال: إلى الجنة، فقال ﷺ: «**إن شاء الله**»[٦].

---

(١) قضية العودة إلى الإسلام في الدولة والمجتمع: ص١٣.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية: ١ / ٥٩.

(٤) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٥) قاله ابن رجب رحمه الله.

(٦) وتمام الحديث في كتاب الأحاديث المائة: ص٤٥، أخرجه من طريق نصر بن عاصم=

المطلب الرابع: الوحدة السياسية[1]:

وفي الحج وحدة سياسية تتمثل في جعل أمير للحج يصلي بالناس، ويؤدي بهم مناسك الحج[2]؛ ولذلك لما لم يخرج النبي ﷺ في السنة التاسعة للحج، جعل أبا بكر أمير موسم الحج.

عن جابر: «أن النبي ﷺ حين رجع من عمرة الجعرانة[3] بعث أبا بكر على

=عن أبيه قال: سمعت النابغة، يقول: أتيت النبي ﷺ فأنشدته، حتى أتيت إلى قولي:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقلت: إلى الجنة، فقالﷺ: إن شاء الله.

وأنشدته:

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

وينظر: أحاديث الشعر: ص١٠٩.

(١) ولابن تيمية كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، فلعل هذا يؤيد إدخال الوحدة السياسية ضمن وحدة الشرائع. والله اعلم.

(٢) ولا زالت هذه المهمة مستمرة عبر العصور، وممن عرف بذلك موسى بن محمد التبريزي المعروف بـ (أمير الحاج) الحلبي صاحب كتاب «التقرير والتحبير»، في الفقه الحنفي، والعجيب أنه توفي بعد أداء الحج سنة ٨٧٩هـ.

ينظر: الأعلام؛ للزركلي: ٧/ ٣٢٨.

(٣) الجعرانة: -بكسر أوله إجماعًا، وأما عينه فمنهم يكسرها، ويشدد الراء، ومنهم من يسكن العين، ويخفف الراء- تقع بين الطائف ومكة، وهي أقرب إلى مكة، في الشمال الشرقي منها في وادي سرف، لا زالت تعرف بهذا الاسم، يعتمر منها المكيون، وبها=

الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعَرْج[١] ثوّب[٢] بالصبح؛ فسمع رَغْوة[٣] ناقة النبي ﷺ، فإذا عليّ عليها ، فقال له: أمير، أو رسول؟ فقال: بل أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة، أقرؤها على الناس...»[٤].

وفي هذا الحديث شاهدان:

الأول: بعثُ أبي بكر أميرًا على الحج.

والثاني: قول أبي بكر لعلي رضي الله عنهما: أمير، أو رسول؟ وهذا يفهم منه أنه لو كان أميرا، فما يسع أبا بكر إلا ترك إمرةِ الحج، ومتابعتُه.

وفي السنة العاشرة حج النبي ﷺ بالناس حجة الوداع، وقال للناس بصفته إمامهم، وأميرهم في عباداتهم الدينية، وقائدهم، وسائسهم: «**خذوا عني مناسككم**»[٥].

=مسجد، ، وكان بها بئر عذبة الماء، يضرب المثل بعذوبته، وقد عطلت اليوم.

ينظر: معجم البلدان: ٢/ ١٤٢، والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية: ١/ ٧٢.

(١) العرج: بفتح أوله، وسكون ثانيه- ثم جيم- قرية جامعة في واد من نواحي الطائف، وهو أول تهامة.

معجم البلدان: ٤/ ٩٨، ومقدمة فتح الباري: ص١٥١.

(٢) ثوّب: بتشديد الواو، على بناء المفعول، أي: أقيم بالصبح، أو بناء الفاعل، أي: أقام الصبح.

ينظر: حاشية السندي على النسائي: ٥/ ٢٤٧.

(٣) الرَّغوة بالفتح: المرة من الرُّغاء، وبالضم- الاسم، كالغَرْفة والغُرْفة.

ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٥٨٩.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٥ / ١٩برقم(٦٦٤٥) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود ، باب حد الزنى: ٥ / ١١٥برقم(٤٥٠٩).

ولما صلى عثمان رضي الله عنه بالناس في الحج، وأتم الصلاة بعرفة لم يشأ أن يخالفه ابن مسعود رضي الله عنه- مع أنه يرى القصر- وقال: (الخلاف شر)[1].

وذلك لمَا لاجتماع الناس على أمير واحد من توحيد كلمتهم، وانتظام أمرهم، واستقامة أحوالهم؛ ولذلك قال ﷺ: «**من أتاكم وأَمرُكم جَمِيعٌ على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه**»[2].

وحتى تستقيم هذه الجماعة، رعية، وراعيا، وتبقى وحدتها، لابد من بيان حقوق كلا الطرفين؛ لأن الرعية لو عصت الإمام، لم تكن له ولاية، ولا طاعة نافذة، تستقيم بها الأمور، وتنضوي الأمة تحت لوائها، ويبين ذلك بيانا واضحا قول علي رضي الله عنه حين عصاه أتباعه في معاركه، فلم ينفعه سداد رأيه مع عصيان أتباعه: لا رأي لمن لا يطاع[3]، وكذا الراعي لو جار على الرعية، ولم يقم بما يجب لهم فإن ذلك يكون سببا في الخروج على الإمام.

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الأوسط :٦ / ٣٦٨برقم(٦٦٣٧) عن عبد الله بن سيدان قال: «كنت مع ابن مسعود بعرفة، فصلى عثمان الظهر أربعًا، والعصر أربعًا، فقال ابن مسعود: ههنا صليت مع رسول الله ﷺ، ومع أبي بكر، وعمر، فما صلوا إلا ركعتين، قلت: أفلا تقوم إليه؟ قال: اسكت، فإن الخلاف شر»، قال الألباني: صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة:٦/ ١٧٥.

وكان ابن عبد البر يقول: لا خير مع الخلاف، ولا شر مع الائتلاف.

ينظر: أدب المجالسة: ١/ ١١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع: ٦/ ٢٣ برقم(٤٩٠٤)

(٣) البيان والتبيين:١ / ٢٣٩.

فحقوق الراعي، مبينة في مثل قوله ﷺ: «**اسمعوا، وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة**»[١]، وحديث «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**»[٢].

وأما حق الرعية، فالعدل بينهم، والسعي في مصالحهم، والحكم بينهم بكتاب الله، كما في قولهﷺ: «**وإنما الإمام جنة، يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله، وعدل، فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره، فإن عليه منه**»[٣]. وبين ﷺ كيف يتصرف الرعاة لو جار إمامهم، فقال: «**إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها**» قالوا : يا رسول الله ، كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب إمامة العبد والمولى:١ / ٢٤٦برقم(٦٦١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ٦ / ٢٦١١برقم (٦٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به: ٣/ ١٠٨٠برقم(٢٧٩٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٣ / ١٣١٨برقم(٣٤٠٨) ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول: ٦ / ١٧برقم(٤٨٨١).

المطلب الخامس: الوحدة الاقتصادية.

الحـج ملتقى تجاري كبير، يتقاطـر الناس فيه من جميع أصقاع الأرض، ويأتون إلـى مكة والمدينة، من كل فـج عميق، ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾[1]، دينيـة كانـت، أو دنيوية، فأمـا المنافع الدينيـة، فرضوان الله عـز وجل، وأما المنافـع الدنيويـة، فمـا يصيبـون مـن لحـوم البـدن في الحـج، مـن الهدي، والقلائـد، والنحر، والفِـدَى، والتجارات[2] من البيع، والشـراء، ولما كانت مكـة محط أنظار العالميـن، ومهوى أفئدتهم، إجابة لدعـوة نبي الله، وخليله إبراهيم عليه السلام، حيث قـال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[3] كانـت موسـما خصبا للتجـارة، فقد كانت في الجاهلية تنعقد بمكة أعظم أسـواق العرب التجارية، والأدبية، في الأشهر الحرم من كل عام[4]، فتزدهر التجارة، وينمو الاقتصاد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[5] فلمـا جـاء الإسـلام، تأثمـوا أن يتجروا في الحـج[6]، فأنـزل الله -سـبحانه-: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ

(١) الحج: ٢٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٩ / ٣٧٥.

(٣) إبراهيم: ٣٧ .

(٤) محاضرات الأدباء:١ / ٢١١ ومكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول:١ / ١٧١ .

(٥) سورة القصص: ٥٧.

(٦) محاضرات الأدباء:١ / ٢١١.

فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١]، فقوله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: أن تبتغوا الرزق، وتطلبوه بالتجارة؛ كقوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ ﴾[٢].

ومجيء اللفظ بصيغة الجمع (عليكم- تبتغوا) مُشْعر بأن الناس في هذا سواء، وبذلك نلمح الوحدة الاقتصادية في الحج، ويروى أن سبب نزول الآية، أنه كان ناس من العرب يحترزون من التجارة في أيام الحج، وإذا دخل العشر، بالغوا في ترك البيع والشراء، بالكلية، وكانوا يسمون التاجر في الحج الدَّاج[٣]، وكانوا ينزلون مسجد منى، و ينزلون مسجد الخيف، وكانوا لا

---

(١) سورة البقرة: ١٩٨.

(٢) سورة المزمل: ٢٠.

(٣) ومعنى الدَّاج: المكتسب الملتقط، وهو مشتق من الدجاجة، و الدَّاج: هم الذين يسْعَون مع الحاج في تجاراتهم، من الأتباع، والأعوان، كالخدم، والأجراء، والجمالين؛ لأنهم يدجُّون على الأرض: أي: يدبون، ويسعون في السير. وهذان اللفظان (الحاج، و الدَّاج) وإن كانا مفردين، فالمراد بهما الجمع، كقوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾المؤمنون: ٦٧. ينظر: الفائق في غريب الحديث: ١/ ٤١٢، والنهاية في غريب الحديث: ١/ ٨٩٥، ٢/ ٢١٧، ومفاتيح الغيب: ٥/ ١٤٦.

يتجرون، حتى نزلت الآية(١).

والحج بالتعبير الاقتصادي موسم تجارة، كما هو بالمفهوم الشرعي موسم عبادة خاصة، وهو الفريضة التي تلتقي فيها شؤون الدنيا، والآخرة، كما يلتقي فيها أصحاب السلع، والتجارة الذين يجدون في موسم الحج سوقًا رائجة؛ حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء من أطراف الأرض، ويَقْدم الحجيج من كل فجّ، ومن كل قطر، معهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض، يتجمع كله في البلد الحرام في وقت واحد(٢).

ووحدة الاقتصاد الإسلامي وقوته تحققان الأمن الاقتصادي للأمة الإسلامية، فالأمة التي لا تملك اقتصادها لا تملك قرارها؛ فالذي يملك التجارة، والمال، يؤثر في الناس، وهذا ما حصل مع ثمامة بن أثال، فعندما أسلم قال لقريش: «والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي ﷺ»(٣).

وحتى يبقى الاقتصاد بصفته الإسلامية، وضع النبي ﷺ عوائد الجاهلية في الربا بقوله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «**وربا الجاهلية موضوع**»(٤).

---

(١) ينظر: العجاب في بيان الأسباب: ١/ ٥٠٤، وتفسير الطبري: ٤/ ١٦٧، ومفاتيح الغيب: ٥/ ١٤٦.

(٢) مجلة البيان، العدد: ٢٠ ص١١٢.

(٣) مجلة البيان: ٢٨ص١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: ٤ / ٣٩برقم(٣٠٠٩).

المبحث الثاني: وحدة الشعائر.

تضم وحدة الشعائر، النقاط التالية: الوحدة الزمانية، والوحدة المكانية، ووحدة الهيئة والحال والصفة، والوحدة العددية، والوحدة النوعية، ومن الأخيرة شعائر الذوات.

قال ابن عاشور: الشعائر منها: أمكنة، وأزمنة، وذوات؛ فالصفا، والمروة، والمشعر الحرام، من الأمكنة، والشهر الحرام من الشعائر الزمانية، والهدي والقلائد من الشعائر الذوات[٥].

المطلب الأول: الوحدة الزمانية.

تظهر الوحدة الزمانية في الحج في المواقيت الزمانية، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾[٦]، وهي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة [٧].

وأكثر ما تظهر الوحدة الزمنية في الصيام، حيث يتوحّد زمن إمساكهم، وإفطارهم، وفي الحج -أيضًا- صيام، قال -تعالى-: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[٨]، وإن كان هذا الصيام لا يلزم كل أحد

(٥) ينظر: التحرير والتنوير:٥ / ١٥.

(٦) سورة البقرة: ١٩٧.

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٤ / ٤٨١.

(٨) سورة البقرة: ١٩٦.

كما هو واضح في الآية، لكنه يُذكر بتلك الفريضة التي تتكرر كل سنة، وهي فريضة شهر رمضان التي تتحقق فيها الوحدة الزمنية بأجلى صورها، قال ﷺ: «**الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون**»[1].

قال الترمذي: وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقال: إنما معنى هذا: أن الصوم، والفطر مع الجماعة، وعُظْم الناس[2].

المطلب الثاني: الوحدة المكانية.

تتجلى الوحدة المكانية في الحج في جوانب كثيرة، مثل التوجه إلى القبلة، ومواقيت الحج المكانية، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، واستلام الركن، وتقبيل الحجر، ورمي الجمار، ومحل الهدي، والوقوف بعرفة، والمبيت بمنى، ومزدلفة، والصلاة جماعة بالمسجد.

أ) التوجه إلى القبلة:

وهو قسمان: توجه القصد في الدعاء جهة السماء، وتوجه البدن في الصلاة جهة الكعبة.

- توجه القصد في الدعاء جهة السماء.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الصوم، باب ما جاء الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون: ٣ / ٨٠برقم(٦٩٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ينظر: جامع الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون: ٣/ ٨٠ برقم (٦٩٧).

وفي رفـع اليدين إلى جهة السـماء تعليق المسـلم بمصـدر عزته، فإنه إذا رفع يده إلى السـماء، دل ذلك، بل وأعان على توجه قلبه إلى الله تعالى، وفي الحديـث: «**إذا سـألت فاسـأل الله**»(١)؛ ولهذا لا يخضعون لأحـد غيره، ففي رفع يده إلى السـماء شـهادة بعلو الله في السـماء، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**ورفـعَ إصبعه اليمنى التي تلي الإبهام، فدعا بها**»(٢) دليل على أن السـبابة ترفع عند الدعاء، وهو يؤيد حديث وائـل بن حجر: «**فرأيته يحركها يدعو بها**»(٣). وعلى هذا يشرع تحريكها عند كل جملة دعائية؛ إشارة إلى علو من يدعوه، وهو الله تعالى(٤)، «**وأشار بالسبابة**»(٥) قال الطيبي: أي رفعها عند قـول: (إلا الله)؛ ليطابق القول الفعل على التوحيد(٦)، قيل: خصت السـبابة بالإشارة؛ لاتصالها بنياط القلب، فتحريكها سبب لحضوره(٧).

وحضور القلب شـرط لقبول الدعاء «فإن الله لا يسـتجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل»(٨).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: ٤/ ٦٦٧ برقم (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: ٢/ ٩٠ برقم (١٣٣٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ٥/ ١٧٠ برقم (١٨٦٠).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١٣ / ١٤٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: ٥/ ٢٠٣٢ برقم (٤٩٩٨).

(٦) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣ / ٢٢٩.

(٧) سبل السلام: ١ / ١٨٩.

(٨) أخرجـه أحمد في مسـنده: ٢ / ١٧٧ برقم (٦٦٥٥)، مـن حديث ابن عمرو -رضي الله=

وقد ذكر شارح الطحاوية قصة الشيخ الزاهد الهمذاني مع أبي المعالي الجويني، المعروف بإمام الحرمين، حين ذكر في درسه نَفْيَ علو الله، وأنَّ المراد بذلك علو القهر، وعلو القدر[1].

فقال له الشيخ الهمذاني: أخبرنا يا أستاذ، عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمنة، ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمذاني! حيرني الهمذاني![2].

وفي رفع اليد في الدعاء -أيضا- قوة الرجاء بإجابة الكريم، فـ «إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين...»[3].

وكان النبي ﷺ «يرفع يديه بالدعاء حتى يرى بياض إبطيه»[4].

=عنهما- قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

ولفظ حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«واعلموا أن الله -عز وجل- لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»** أخرجه الترمذي في جامعه،كتاب الدعوات، باب رقم(٦٦): ٥/ ٥١٧برقم(٣٤٧٩) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والطبراني في الدعاء: ١/ ٣٩ برقم(٦٢).

(١) يقول: كان الله، ولا عرش، وهو الآن على ما كان! شرح الطحاوية:١ / ٢٧٠.

(٢) شرح الطحاوية: ١/ ٢٧٠، و إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل: ٢١/ ١٢.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، باب برقم(١٠٥):٥/ ٥٥٦برقم(٣٥٥٦)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الصلاة في الثياب، باب يبدي ضبعيه ويجافي في السجود:=

- توجه البدن في الصلاة جهة الكعبة.

فاستقبال القبلة شرط من شروط الصلاة[١]، وهي من أظهر شعائر الدين إن لم تكن أظهرها في وحدة المسلمين ؛ ولذلك قد يكني بعض العلماء عن المسلمين بأهل القبلة[٢]، حيث يتوجه المسلمون من جميع أقطار الأرض إلى بقعة واحدة، قبلة صلاتهم في كل يوم، فيتوجهون شطر المسجد الحرام حيث الكعبة المشرفة؛ ولما في التوجه إلى مكان واحد من الاتحاد، والموافقة، كره النبي ﷺ موافقة اليهود في قبلتهم نحو بيت المقدس، وكان يتمنى أن يوجه نحو الكعبة، قال ابن عباس: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول ﷺ لما هاجر إلى المدينة، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس؛ ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم[٣]، ففرحت اليهود بذلك، فاستقبلها رسول ﷺ بضعة عشر شهرا، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو، وينظر إلى السماء[٤]؛ لأن اليهود كانوا يقولون: يخالفنا

=١ / ١٥٢ برقم (٣٨٣).

(١) لقوله ﷺ : «**إذا قمت إلى الصَّلاة فأسبغ الوُضُوء، ثم استقبل القِبْلة، فكبِّر**».

(٢) كما صنع ابن ماجه في سننه: ١ / ٤٨٧، قال: باب في الصلاة على أهل القبلة، وابن حبان في صحيحه : ٧/ ٣٣٤، قال: ذكر الإباحة للمرء الصلاة على كل مسلم مات من أهل القبلة، وإن كان عليه دين.

(٣) تفسير البغوي:١ / ١٦١.

(٤) تفسير ابن كثير:١ / ٣٩١.

محمد ﷺ في ديننا، ويتبع قبلتنا[1]، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[2].

ومن عجبٍ أن جعل الله في نفوس المسلمين هيامًا بهذه القبلة، وتشوقًا إليها، وسعيا حثيثا لزيارتها، ومع زيارتها، فإنهم لا يقضون منها حاجة، ولا يقنعون بمرة، بل تتضاعف أشواقهم لها، فهذا الهوى، والشوق هو ما ذكره الله في كتابه حكاية عن خليله إبراهيم حين دعا بقوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[3] وقد عبر ابن القيم عن هذا المعنى تعبيرًا جميلاً بقوله:

أطوف به والنفس بعد مشوقة … إليه، وهل بعد الطواف تداني
وألثم منه الركن، أطلب برد ما … بقلبي من شوق، ومن هيمان
فو الله ما أزداد إلا صبابة … ولا القلب إلا كثرة الخفقان
فيا جنة المأوى، ويا غاية المنى … ويا منيتي من دون كل أمان
أبت غلبات الشوق إلا تقربا … إليك، فما لي بالبعاد يدان
وما كان صدي عنك صد ملالة … ولي شاهد من مقلتي ولساني
دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا … فلبى البكا، والصبر عنك عصاني
وقد زعموا أن المحب إذا نأى … سيبلى هواه بعد طول زمان

(١) تفسير البغوي: ١ / ١٦١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٧.

ولو كان هذا الزعم حقا، لكان ذا دواء الهوى في الناس كل أوان
بلى، إنه يبلى التصبر، والهوى على حاله، لم يبله الملوان
وهذا محب قاده الشوق والهوى بغير زمام قائد وعنان
أتاك على بعد المزار، ولو ونت مطيته، جاءت به القدمان

ومن حكمته -سبحانه- أن جعل هذا المكان آمنا؛ فإن الخوف يشتت الفكر، وينغص الحياة، ويحبس الأشواق، فلما جعل -سبحانه- البلد آمنا، كان محلا صالحا للتوقان، والحنين لهذا البيت، وكان محلا صالحا للاجتماع، والتعارف، والتآلف، الذي هو مقصود الوحدة الإسلامية.

وأعجب من هذا قول الله -تعالى-: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾[1].

فبيّن سبحانه أنَّه جعلها قيامًا للناس، وأنها ما دامت موجودة، فالدين قائم[2]، فبها يأمنون، وبها تقوم أمورهم الدينية، والدنيوية، ففي الحديث أنه ﷺ قال: «**لا تزال هذه الأمة بخير، ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها، فإذا تركوها وضيعوها، هلكوا**»[3]؛ ولذلك جعلها الله باقية إلى قرب القيامة،

---

(١) سورة المائدة: ٩٧.

(٢) فتح الباري، لابن حجر: ٣/ ٤٥٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب فضل مكة: ٢ / ١٠٣٨ برقم(٣١١٠)، و أحمد في مسنده: ٤ / ٣٤٧ برقم(١٩٠٧٢)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

وجعل هدمها من علامات الساعة، ففي الحديث عنه ﷺ: «يظهر في آخر الزمان ذو السويقتين من الحبشة؛ فيخرب الكعبة، قال الراوي: حسبت أنه قال: فيهدمها»[(١)].

فالقبلة أعظم، وأظهر رموز الوحدة، والاجتماع بين الأمة الإسلامية، وهي من شعائر الله، رزقنا الله تعظيمها ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[(٢)].

ب) مواقيت الحج المكانية:

وهي المبينة في قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «إن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشأم الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن، ولمن أتى عليهن، من غيرهن ممن أراد الحج، والعمرة، ومن كان دون ذلك، فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة»[(٣)].

ويدل على اعتبار الالتزام بالمكان الذي حدده رسول الله، وأنه يجب على الناس الإهلال منه، ما روي أن رجلا جاء إلى مالك بن أنس، فقال:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده :٢/ ٣١٠ برقم(٨٠٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لأحمد.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) سورة الحج: ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الحج ، باب مهل أهل مكة للحج والعمرة:٢/ ٥٥٤ برقم(١٤٥٢).

مـن أين أحرم؟ فقال: من الميقات الذي وقت رسـول الله، وأحرم منه، فقال الرجـل: فإن أحرمـت من أبعد منه؟ فقال مالك: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره مـن ذلـك؟ قال: أكره عليـك الفتنة، قـال: وأي فتنة في ازديـاد الخير؟! فقال مالك: فـإن الله -تعالى- يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] وأي فتنة أكبر من أنك خُصِصْت بفضل لم يختص به رسول الله؟[2].

ج) محل الهدي.

ومحـل الهـدى الحـرم؛ لقولـه -سـبحانه-: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[3]، وقوله: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[4]، وهذا ظاهر في وحدة المكان، فحتـى المُحصر الذي معه هدي، إذا منع من الوصول إلى البيت، ليس له أن يحـل، حتى يبلغ الهدي محله، قـال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾[5]، وبلوغ الهدي محله يكون يوم العيد، وقد بينت السنة أن الحل يكون برمي جمرة العقبة يوم العيد.

---

(١) سورة النور: ٦٣.

(٢) الباعث على إنكار البدع: ص٢١.

(٣) سورة الحج: ٣٣.

وينظر: شرح العمدة:٣ / ٣٧١.

(٤) سورة المائدة: ٩٥.

(٥) سورة البقرة: ١٩٦.

د) الطواف بالبيت[1]، واستلام الركن وتقبيل الحجر.

السنة في الطواف أن يبتدئ بالحجر في أول الطواف، وأن يستقبل الركن في أول الطواف، سواء استلمه، وقبله، أو لم يفعل[2]، فيطوف بالبيت، ويستلم الركن، ويقبل الحجر الأسود[3].

والعبادات مبناها على التوقيف؛ ولهذا قال عمر ﵁ لما قبل الحجر الأسود: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر، ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك، لما قبلتك»[4].

لأن الطواف بغير الكعبة -كالطواف بالقبور بقصد التقرب لأصحابها- شرك؛ لأن الطواف عبادة ؛ لقوله -تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[5]، فهذا تحديد، وتوحيد لهذه العبادات بهذه المواضع.

هـ) الوقوف بعرفة، والمبيت بمنى، ومزدلفة.

فقد حدد النبي ﷺ هذه المواقع، وما يؤدى فيها من مناسك الحج، في قوله ﷺ: «**وكل عرفة موقف، وكل منى منحر، وكل فجاج مكة منحر،**

(١) ويمكن أن يدخل في هيئة العبادة باعتبار سير الطائف حول الكعبة.

(٢) ينظر: شرح العمدة:٣ / ٤٣٧.

(٣) جامع المسائل لابن تيمية :٥ / ١٠٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود: ٢ / ٥٧٩ برقم (١٥٢٠).

(٥) سورة الحج: ٢٩.

وكل جمع موقف»[١]، وأكثر من هذا تحديدًا، قوله ﷺ: «**كل عرفات موقف، وارتفعوا عن بطن عرنة، وكل جمع مشعر، وارتفعوا عن بطن مُحَسّر**»[٢].

و) الصلاة جماعة بالمسجد.

إن جمع الكلمة، وتأليف القلوب، مطلب شرعي، جاءت به نصوص الوحي، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[٣] وقال ﷺ: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة**»[٤]، وأبرز صوره، وأكثرها تكررا صلاة الجماعة؛ ولكي يتحقق الاجتماع، لابد من تحديد مكان يجتمع فيه المسلمون للصلاة، فكان هذا المكان هو المسجد، وقد حرص النبي على المسجد، حتى ذكرت كتب السير أن أول شيء بدأ به حين قدومه المدينة، هو

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب إذا أخطأ القوم الهلال : ٢ / ٢٦٩برقم(٢٣٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود : ٥ / ص ٣٢٤برقم(٢٣٢٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك ، باب الموقف بعرفات : ٢ / ١٠٠٢ برقم(٣٠١٢). قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه : ٧ / ١٢ برقم(٣٠١٢).

(٣) سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة:٤ / ٤٦٥برقم(٢١٦٥).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

بناء المسجد، ومع تحديد المكان، جاء تحديد الزمان، بل أكثر من هذا هو مشروعية الأذان، والنداء للصلاة، حتى يتحقق به العلم بوقت الصلاة لمن كان منشغلا بعمله، ولم يتفطن لحضور وقت الصلاة، ومن حرص النبي ﷺ على اجتماع المسلمين في هذه العبادة، حثهم على المحافظة عليها، وجعلها من سنن الهدى، فعن ابن مسعود قال: «**حافظوا على هؤلاء الصلوات الخمس، حيث ينادى بهن، فإنهن من سنن الهدى، وإن الله -تبارك وتعالى- شرع لنبيه ﷺ سنن الهدى، ولقد رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق بين النفاق، ولقد رأيتنا، وإن الرجل ليهادى بين رجلين، حتى يقام في الصف، وما منكم أحد إلا وله مسجد في بيته، ولو صليتم في بيوتكم، وتركتم مساجدكم، تركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم، لكفرتم**[(١)]»[(٢)].

وقال -أيضا-: «**إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى: الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه**»[(٣)]، ومن حرص الإسلام على توحيد

(١) قوله: (ولو تركتم سنة نبيكم لكفرتم) بمعْنى: أنه يؤول بكم إلى الكفر، بأن تتركوا شيئا شيئا منها، حتى تخرجوا من الملة. قال العيني: يجوز أن يكون المراد بالكفر: كفران النعمة، يعني: لو تركتم سُنَن نبيكم كسلاً، وتهاونا، لكفرتم نعمة الإسلام، وأما إذا تركها جاحداً معاندا، فهو كفر، بلا خلاف. ينظر: شرح أبي داود؛ للعيني: ٣/ ٢٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة: ١/ ٢١٥ برقم(٥٥٠). قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٢/ ص ٥٠ برقم(٥٥٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى: ٢/ ١٢٤ برقم(١٥١٩).

الصفوف، وجمع الكلمة بين المسلمين، أن أمر بالصلاة خلف الأئمة، سواء كانوا أبراراً، أو فجّاراً، قال ﷺ: «**يصلون لكم؛ فإن أصابوا فلكم، ولهم، وإن أخطؤوا، فلكم، وعليهم**»(١)، وقال ﷺ: «**صلوا خلف كل بر وفاجر...**»(٢) وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يصلون خلف الأمراء، وإن كانوا يفعلون بعض الكبائر، مثل الحجاج، وغيره، وهذا من أجل جمع الكلمة(٣).

والمسجد هو محل اجتماع المسلمين للصلاة، قال -تعالى-: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾(٤) ومكان تدارس أمور دينهم، وشؤونهم العامة، ومظهر وحدتهم، وعزتهم، وتآزرهم؛ ولذا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه: ١ / ٢٤٦ برقم (٦٦٢).

(٢) أخرجه البيهقي السنن الكبرى، كتاب الجنائز، باب من حمل الجنازة: ٤ / ١٩ برقم (٧٠٨٠).

قال الألباني: ضعيف. شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٢٠.

(٣) هذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلاف الخوارج والمعتزلة.

ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١ / ٢٧٢. التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية: ١ / ١١١، وفيه أحاديث منها: «**الصلاة واجبة عليكم مع كل أمير برا كان، أو فاجرا، وإن عمل بالكبائر**» «**صلوا خلف من قال: لا إله إلا الله**» وهذه أحاديث ضعيفة، لكن العمدة على ما جاء في صحيح البخاري.

(٤) سورة النور: ٣٦ -٣٧.

كانت صلاة جماعة في المساجد سببا لإسلام بعض الكافرين قديما(1)، وحديثًا(2).

المطلب الثالث: وحدة الهيئة والحال والصفة.

تنقسم الهيئة، والحال، والصفة: إلى هيئة المسلم في العبادة، وهيئة المسلم العامة.

---

(1) لعل من ذلك قصة سبب إسلام ثمامة بن أثال، حيث رُبط في المسجد. أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال: ٤/ ١٥٨٩ برقم(٤١١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: بعث النبي ﷺ خيلا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ ، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنْعم تُنْعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت؛ فترك، حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك: إن تُنْعم تُنْعم على شاكر؛ فتركه، حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي...» الحديث.

(2) وأمثلة ذلك كثيرة، فكم نصراني كان سبب إسلامه هو رؤيته لاجتماع المسلمين في هذه العبادة في مكان واحد، حتى إن بعضهم كان يدخل المسجد وقت الصلاة، ويبقى في مؤخرة المسجد يرقب حركات المصلين، وتنقلاتهم بين الركوع والسجود والقيام.

هيئة المسلم في العبادة:

وهذه الفقرة فيها -أيضا- أقسام: في الأقوال، والأفعال، واللباس:

الأقوال: وفيها صيغ ولغة الألفاظ:

فأما صيغ الألفاظ فنحو: تحديد ألفاظ معينة في الركوع، والسجود، والقيام، كما في قوله ﷺ: «**وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا، أو ساجدًا، فأما الركوع، فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود، فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم**»[(١)].

وأما لغة الألفاظ:

فإن الصلاة لا تصح بغير الفاتحة؛ لحديث: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[(٢)]. والقرآن لا تجوز قراءته بغير اللغة العربية، فعلى هذا كان تعلم اللغة العربية حتما لأداء عمود الإسلام الصلاة[(٣)]، فالقرآن عربي، والرسول عربي، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود: ٣ / ٢٢برقم(١١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر، والسفر، وما يجهر فيها، وما يخافت من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: ١/ ٢٦٣برقم(٧٢٣).

(٣) «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة». أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: ٥ / ١١برقم(٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

وهذا يدعوا المسلمين أيا كانت لغتهم إلى تعلم اللغة العربية، والسعي لإتقانها، ومعرفة أسرارها، ونفائس كنوزها، سيما وأن تراث المسلمين، وعلومهم المتعلقة بتفسير كتاب الله، وسنة رسوله، كتبت باللغة العربية، فكان لزاما على من يريد الفقه عن الله، وعن رسوله أن يتعلم العربية، ويتذوق أسلوبها الرفيع؛ حتى تقع الأساليب القرآنية الفصيحة، والتراكيب المعجزة البليغة في نفسه موقعها، فتهزه هزاً، وتدعوه إلى الإيمان بها طوعا، وكرها، وبهذا تتوحد لغة العبادة بين المسلمين على لغة القرآن الذي نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2].

روى ابنُ أبي شيبة بإسناده، قال: كَتَبَ عمر إلى أبي موسى - رضي الله عنهما-: (أما بعد: فتفقهوا في السُنة، وتفقهوا في العربيةِ، وأعربوا القرآنَ، فإنَهُ عربيٌّ)[3].

وفي لفظ آخر عن عُمَر: (تعلموا العربيةَ فإنها مِن دينِكُمْ، وتعلموا الفرائضَ فإنها مِنْ دِينِكُمْ)[4].

(١) سورة فصلت: ٤٤.

(٢) سورة الشعراء.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إعراب القرآن: ١٠/ ٤٥٦ برقم (٣٠٥٣٤).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٣/ ٢٠٤ برقم (١٥٤٨).

والأفعال: كتسوية الصفوف، فعن البراء بن عازب، قال: كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية، يمسح صدورنا، ومناكبنا، ويقول: «**لا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم**»[١].

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه: قال: «**كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولوا الأحلام، والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافا**»[٢].

في الحديث أن القلب تابع للأعضاء، فإن اختلفت اختلف، وإذا اختلف فسد، ففسدت الأعضاء؛ لأنه رئيسها[٣].

فقوله: (ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم) دال بلفظه على أن اتحاد الهيئة في العبادة سبب لتوحيد القلوب، وائتلافها، وأن اختلافها سبب اختلاف القلوب.

عن النعمان بن بشير قال: «**كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا، حتى كأنما يسوي بها القداح، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوما، فقام، حتى كاد يكبر، فرأى رجلا باديا صدره من الصف، فقال: عباد الله، لتسوُّن**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف: ١/ ٢٥٠ برقم(٦٦٤). قال الألباني: صحيح. صحيح سنن أبي داود: ٢/ ١٦٤ برقم(٦٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف: ٢/ ٣٠ برقم(١٠٠٠).

(٣) ينظر: فيض القدير: ١/ ٦٤٣، نقلًا عن الطيبي.

صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم».[1]

عن النعمان بن بشير قال: «**أقبل رسول الله ﷺ على الناس بوجهه، فقال: أقيموا صفوفكم ثلاثا، والله لتقيمن صفوفكم، أو ليخالفن الله بين قلوبكم، قال: فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه، وكعبه بكعبه**»[2]، فرص الصفوف سبيل لجمع القلوب، والجهود.

والسجود على أعضاء معينة، عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– قال: «**أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء ... الجبهة، واليدين، والركبتين، والرجلين**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها: ٢ / ٣١ برقم(١٠٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف: ١/ ٢٤٩برقم(٦٦٢). قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود : ٢ / ١٦٢برقم(٦٦٢). والنصوص في هذا كثيرة منها: قوله ﷺ: «**رصوا صفوفكم ، وقاربوا بينها ، وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفسي بيده ، إني لأرى الشيطان يتخللكم ، ويدخل من خلل الصف**». أخرجه أبوداود في سننه كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف:: ١ / ٢٥١برقم(٦٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة ، باب السجود على سبعة أعظم: ١ / ٢٨٠برقم(٧٧٦).

الطواف والرَّمَل[١]:

لما جعل الله في نفوس عباده من الشوق والحنين لهذا البيت، شرع لهم الطواف بالبيت، واستلام الركن، وتقبيل الحجر، قال -تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[٢].

وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حبًّا له، وشوقا إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين، يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطرا أبدا، كلما ازدادوا له زيارة، ازدادوا له حبا، وإليه اشتياقا، فلا الوصال يشفيهم، ولا البعاد يسلبهم، بل حالهم كما قال القائل:

أطوف به والنفس بعد مشوقة
إليه، وهل بعد الطواف تداني
وألثم منه الركن أطلب برد ما
بقلبي من شوق ومن هيمان
فو الله ما أزداد إلا صبابة
ولا القلب إلا كثرة الخفقان[٣]

---

(١) كنت قد أدخلت الطواف في بند الهيئة اجتهادا، ثم رأيت ما يؤيد هذا الاجتهاد في صنيع ابن الأثير في جامع الأصول: ٣/ ١٦١، قال: الفرع الأول: في الطواف. النوع الأول: في هيئته.

(٢) سورة الحج: ٢٦.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد: ٢ / ٢٨١.

والطواف أدل شيء على شدة الوجد بالمحبوب، والقرب منه، وكأن الطائف يريد ألّا تبقى جهة من البيت إلا ويأخذ منها حظه.

ويشرع في الطواف الرمل: والمقصود منه إظهار قوة المسلمين، عن ابن عباس قال: «**قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب، قال المشركون: إنه يقدم عليكم غدًا قوم قد وهنتهم الحمى، ولقوا منها شدة، فجلسوا مما يلي الحجر، وأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم-أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين؛ ليرى المشركون جلدهم؛ فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا**»[1].

ولما رأى المشركون من نشاطهم وجلدهم، ما رأوا عجبوا منهم، وشبهوهم بالغزلان، فكان الرمل بعد ذلك سنة للمسلمين من بعد، أخرج أبو داود: عن ابن عباس «**أن رسول الله ﷺ اضطبع، فاستلم، وكبر، ثم رمل ثلاثة أطواف، فكانوا إذا بلغوا الركن اليماني، وتغيبوا عن قريش، مشوا، ثم يطلعون عليهم يرملون، فتقول قريش: كأنهم الغزلان، قال ابن عباس: فكانت سنة**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل: ٢/ ٥٨١ برقم(١٥٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه،كتاب المناسك، باب في الرمل: ٢/ ١١٨ برقم(١٨٩١). قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود:٤ / ٣٨٩برقم(١٨٨٩).

وفي اللبـاس: فالوحدة الاجتماعية في الحج تظهـر في توحيد اللباس في لباس واحد، وهو لباس الإحرام، والالتزام بكيفية معينة، كالاضطباع، حيث يستوي فيه المسلمون بشتى أجناسهم، وأحوالهم رعاة، ورعية، لا يتقدم فيهم غني على فقير، ولا أبيض على أسود[1].

ومنع المحرم من أنواع معينة من اللباس، قال ابن عمر: «**سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ما يلبس المحرم؟ فقال: لا يلبس القميص، ولا السراويل، ولا البرنس، ولا ثوبا مسه الزعفران، ولا ورس، فمن لم يجد النعلين، فليلبس الخفين، وليقطعهما، حتى يكونا أسفل من الكعبين**»[2].

وهيئة المسلم العامة:

للمسلم هيئة خاصة، تميزه عن غيره، لا يشاركه فيها أحد، كتوفير اللحى، وإعفائها، وإحفاء الشوارب، وجزّها؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بمخالفة المشركين، قال ﷺ: «**خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب...**»[3]، ونهى

(١) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل - (٧/ ١٠٨)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله: ١ / ٦٢ برقم(١٣٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار: ٥/ ٢٢٠٩ برقم (٥٥٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي مسند أحمد: ٤ / ٣٦٨ برقم(١٩٢٩٢) عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «**من لم يأخذ من شاربه فليس منا**» قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

عن إسـبال[1] الثياب؛ لما في الإسـبال من الخيلاء، والتعالي على الآخرين، وهذا ينافي التآخي، الداعي إلى المحبة، والوحدة، فعن أبى ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يـوم القيامة**» وذكر منهم «**المسـبل إزاره**»[2] وعـن أبـي هريرة رضي الله عنه: أن رسـول الله ﷺ قال: «**ما أسـفل مـن الكعبين من الإزار في النار**» والمسـبل إزاره: هو الذي يطول ثوبه ويرسـله إذا مشـى كبرا وعجبًا[3]، يقال: أسبل ثوبه، وشعره، أي: أرخاه[4]؛ لحديث عبد الله بن عمر رضـي الله عنهمـا قال: «**قال رسـول الله ﷺ من جر ثوبه خيـلاء لـم ينظر الله إليـه يـوم القيامة، فقال أبو بكر: إن أحد شـقي ثوبي يسـترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خيلاء**»[5] هذا بالنسبة للرجال.

أما بالنسـبة للنسـاء، فالتـزام الحجاب أهم مـا يميزهن عـن الكافرات،

---

(١) قـال الزمخشـري: أسـبل الإزار، أو سـبله، والمرأة تسـبل ذيلها، والفـرس ذنبه، ومن المجاز: أسبل المطر أرسل دفعة، ووقفت على الديار، فأسبلت مني عبرتي.
فيض القدير: ١/ ٥٠٦.

(٢) أخرجـه مسـلم في صحيحه،كتـاب الإيمـان، بـاب بيـان غلـظ تحريـم إسـبال الإزار: ١/ ٧١برقم (٣٠٧).

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر:١/ ١٢٩.

(٤) مشارق الأنوار: ٢/ ٢٠٤.

(٥) أخرجـه البخـاري في صحيحـه، كتاب اللبـاس، باب من جر إزاره مـن غير خيلاء: ٥/ ٢١٨١برقم(٥٤٤٧).

ويميزهن أيضا عن الإماء، عن عطاء أن عمر بن الخطاب كان ينهى الإماء من الجلابيب أن يتشبهن بالحرائر، قال ابن جريج: وحدثت أن عمر بن الخطاب ضرب عقيلة أمة أبي موسى الأشعري في الجلباب أن تجلبب»(١).

وعن صفية بنت أبي عبيد قالت: «خرجت امرأة مختمرة متجلببة، فقال عمر رضي الله عنه: من هذه المرأة؟ فقيل له: هذه جارية لفلان، رجل من بيته، فأرسل إلى حفصة رضي الله عنها، فقال: ما حملك على أن تخمري هذه الأمة، وتجلببيها، وتشبهيها بالمحصنات، حتى هممت أن أقع بها، لا أحسبها إلا من المحصنات، لا تشبهوا الإماء بالمحصنات»(٢).

وروي عن صفية بنت شيبة، قالت: «بينما نحن عند عائشة قالت: وذكرت نساء قريش، وفضلهن، فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلا، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(٣) انقلب رجالهن إليهن، يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته، وابنته، وأخته، وعلى كل ذي قرابته، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به؛ تصديقا، وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن يصلين وراء

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٣/ ١٣٥.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الصلاة، باب عورة الأمة: ٢/ ٢٢٦ برقم(٣٣٤٦).

(٣) النور: ٣١.

رسول الله ﷺ الصبح معتجرات ،كأن على رؤوسهن الغربان»[1].

ونهى ﷺ عن التشبه بأهل الكتاب عموما في أحاديث كثيرة، مثل قوله: «**إن اليهود، والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**»[2]، «**خالفوا اليهود، والنصارى، فإنهم لا يصلون في خفافهم**»[3]، وقوله ﷺ في عاشوراء : «**لئن عشت إلى قابل لأَصُومَنَّ التاسع**»[4]، وقال في موضع : «**لا تشبهوا بالأعاجم**»[5] وقال فيما رواه الترمذي: «**ليس منا من تشبه بغيرنا**»[6]، حتى قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[7]، وما ذاك إلا لأن المشابهة في بعض الهدي الظاهر توجب المقاربة، ونوعًا من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٨ / ٢٥٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٣/ ١٢٧٥ برقم(٣٢٧٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فرض متابعة الإمام: ٥ / ٥٦١ برقم(٢١٨٦).قال الألباني: صحيح.انظر: الثمر المستطاب: ص ٣٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: ١ / ٢٣٦ برقم(٢١٠٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٥) أخرجه البزار في مسنده: ٢ / ٢٠٥ برقم(٥٢١٧).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام:٥ / ٥٦ برقم(٢٦٩٥).قال الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن الترمذي: ٦ / ١٩٥ برقم(٢٦٩٥).

(٧) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة: ٤ / ٧٨ برقم(٤٠٣٣)، وحسنه الألباني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. صحيح سنن أبي داود:٩/ ٣١، وصحيح الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٣٢.

المناسبة، يفضي إلى المشاركة في خصائصهم التي انفردوا بها عن المسلمين[١].

وعن أبي عثمان قال: كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان: «وإياكم والتنعم، وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير»[٢].

المطلب الرابع: الوحدة العددية.

أول شيء في الحج في الوحدة العددية، كون الحج مرة في العمر[٣]، فعن أبى هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا**» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم**» الحديث[٤]، ثم أشهر الحج، قال -تعالى-: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[٥]، وهي كما فسرتها

---

(١) ينظر: إقامة الدليل على إبطال التحليل:٣/ ٤٧٣.

والنصوص في هذا كثيرة كحديث علي بن أبي طالب قال: «**نهى رسول الله:ﷺ عن لباس القسي والمعصفر، وعن تختم الذهب**» رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهى عن لبس الرجل الثوب المعصفر: ٦ / ١٤٤ برقم(٥٥٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء: ٦ / ١٤٠ برقم(٥٥٣٢).

(٣) عنون النووي لهذا الباب بقوله: باب فرض الحج مرة في العمر.

ينظر: شرحه على صحيح مسلم: ٩/ ١٠٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر :٤ / ١٠٢ برقم(٣٣٢١).

(٥) سورة البقر: ١٩٧.

السُّنة: «شوال، وذو القعدة، وذو الحجة»[1].

قال ابن العماد الأقفهسي: واعلم أن الأعداد في الشريعة، بعضها ورد النص فيها صريحًا، وبعضها مستنبط من الأدلة، وهي من دون الواحد من الكسور، إلى سبع مائة وألف، ثم تارة وقع التنصيص عليها، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾[2]، وتارة وقع ذكرها مجملا، كقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[3].

ولرقم السبعة ومضاعفاته- السبعين إلى السبع مائة- في الدين، والعربية شأن[4]، فالسموات سبع، والأرضون مثلهن، والطواف بالبيت سبعة أشواط، والسعي بين الصفا والمروة سبع، ورمي الجمار بسبع حَصَيَات، والصيام: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[5]، وإذا أسلم العبد، فحسن إسلامه

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: ١/ ١٢٢ برقم(١٨٠). عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: في قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ البقر: ١٩٧ فذكره.

(٢) سورة المزمل: ١-٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٩.

وينظر: الإرشاد إلى ما وقع في الفقه وغيره من الأعداد: ١/ ١٩،١٧.

(٤) السبعة عند العرب أصل في المبالغة في العدد، فقد كانت العرب تبالغ بالسبع، والسبعين؛ وتُجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير؛ لأن التعديل في نصف العقد، وهو خمسة، فإذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة، وإن زيد اثنان، كان لأقصى المبالغة. ويقولون: إن السبعة عدد شريف؛ لأنها عدد السماوات، والأرضين.

ينظر: تفسير العز بن عبد السلام: ١/ ٤٢٧، ومفاتيح الغيب: ١/ ٢٩٠٢، وفتح القدير: ٣/ ٢٩٢.

(٥) سورة البقرة: ١٩٦.

«**فكل حسـنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف**»[١] ويدخل الجنة من أمته ﷺ «**سـبعون ألفًا لا حسـاب عليهم، ولا عـذاب مع كل ألف سـبعون ألفـا**»[٢]، ومـا يذكر في العبـادات من أعـداد فهي توقيفيـة، لا يجوز الزيادة عليه، ولما جعل الشـارع فريضة الصيام شـهر رمضان -والشهر تسع وعشرون، أو ثلاثون- حمى هذه العدة من الزيادة، والنقص، فنهى أن يتقدم صـوم رمضان بيوم، أو يومين،«**لا تقدموا شـهر رمضان بصيـام قبله بيوم، أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صوما، فليصمه**»[٣] وشـدد في صيام يوم الشك، وحرم صيام يوم العيد، فنهى رسول الله ﷺ «**عن صوم ستة أيام: اليوم الذي يشك فيه من رمضان، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق**»[٤].

المطلب الخامس: الوحدة النوعية.

تبـدو الوحدة النوعية في الهـدي، والقلائـد، والأضاحي[٥]، فجميعها لا تكون إلا من أنواع، وأصناف معينة من الحيوانات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب حسن إسلام المرء : ١ / ٢٤ برقم(٤٢).

(٢) أخرجـه الترمـذي في جامعه، كتاب صفـة القيامة، بـاب ١٢ : ٤ / ٦٢٦ برقم(٢٤٣٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجـه الترمـذي في جامعه، أبواب الصوم ، باب ما جاء لا تقدموا الشـهر بصوم : ٣ / ٦٩ برقم(٦٨٥) عن أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه الدارقطني في سـننه: ٥ / ٤٢٦، عن أبي هريرة ﷺ. قال الألباني: صحيح.انظر: السلسلة الصحيحة: ٥ / ٣٩٧ برقم(٢٣٩٨).

(٥) وتدخل أيضا في الجانب الاقتصادي.

والهدي: هو ما يهدى إلى البيت الحرام من النعم؛ لتنحر(١).

والقلائد: ما قلد من الأنعام؛ إشعارًا بأنه مهدي إلى الحرم(٢).

والأضاحي: جمع أضحية، وهي اسم لما يذبح من النعم؛ تقربا إلى الله تعالى يوم عيد الأضحى، واليومين بعده؛ سميت بذلك لأنها تفعل في الضحى، فسميت بزمن فعلها(٣).

فلابد أن يكون الهدي، والأضاحي من بهيمة الأنعام(٤)، قال -تعالى- : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾(٥).

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن:١ ٥٤١، و النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٥٧٧.

قال الأخفش: والواحدة هدية، قال: ويقال للأنثى: هدي كأنه مصدر وصف به. نقله عنه الراغب الأصفهاني في غريب القرآن: ١/ ٥٤١، ولم أقف عليه في معاني القرآن للأخفش.

(٢) وكانوا يجعلونها من القِرب، والنعال، وخيوط الصوف الملونة؛ لتكون أظهر في العلامة، يفعلون ذلك؛ ليعلم أنها هَدْيٌ، فتحترم، فلا يتعرض لها أحد.

ينظر: شرح صحيح البخارى؛ لابن بطال: ٤/ ٣٨٤، أيسر التفاسير؛ للجزائري:١/ ٣٧٨، وتيسير العلام شرح عمدة الحكام: ١ / ٣٨٨.

(٣) ينظر: مشارق الأنوار: (٢ / ٥٦)، والفجر الساطع على الصحيح الجامع: ٨ / ١)

(٤) وبهيمة الأنعام: هي الإبل، والبقر، والغنم، من ضأن، ومعز.

ينظر: إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام - (٤ / ٣٩).

(٥) سورة الحج: ٣٤.

وينظر: المغني: ٣/ ٥٩١، والتمهيد: ١٧/ ٢٢٩.

ولابد أن تبلغ السن المحددة شرعاً[١].

كما يشترط السلامة من العيوب المانعة من الإجزاء[٢].

والهدي، والقلائد من شعائر الحج الظاهرة، فقد جعلها الله قياما للناس، كما قال سبحانه: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾[٣]، وكون (الهدي) قياما للناس ظاهر؛ لأنه ينتفع ببيعه للحاج أصحاب المواشي من العرب، وينتفع بلحومه من الحاج فقراء العرب، فهو قيام لهم.

وكذلك القلائد، فإنهم ينتفعون بها؛ فيتخذون من ظفائرها مادة عظيمة للغزل، والنسج، فتلك قيام لفقرائهم[٤].

وهذه كلها منافع، يشهدها الناس في الحج، ويشتركون فيها، وتمثل وحدة تكافل بينهم، وهي المشار إليها في قوله -تعالى-: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[٥].

---

(١) بأن تكون: جذعة من الضأن، أو ثنية من غيره، والثني من الإبل: ما تم له خمس سنين.

-والثني من البقر: ما تم له سنتان.

- الثني من الغنم: ما تم له سنة.

- الجذع: ما تم له ستة أشهر.

ينظر: إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام - (٤ / ٣٩).

(٢) إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام - (٤ / ٣٩).

(٣) سورة المائدة: ٩٧.

(٤) التحرير والتنوير: ٥/ ٢٢٥.

(٥) سورة الحج: ٢٨.

المبحث الثالث: وحدة المشاعر[1]:

المطلب الأول: مشاعر السعادة، والآمال.

فمشاعر السعادة: كالفرح، والسرور، في المناسبات الإسلامية، من الأعياد، ونحوها، فقد وحد الإسلام بين المسلمين في هذه المشاعر، توحيداً عجيبا، فجعل العيد و«**الفطر، يوم يفطر الناس، والأضحى، يوم يضحي الناس**»[2]. ولم يجز لمن رأى الهلال وحده أن يفطر، وإن كان عدلاً، ومتيقنًا من ذلك[3].

وكالمحبة بين المسلمين: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام**

(١) والأمثلة في هذا كثيرة، والذي سأذكره نماذج يسيرة؛ ليستدل بالمذكور على المحذوف.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الصوم، باب ما جاء في الفطر والأضحى متى يكون: ٣/ ١٦٥برقم(٨٠٢) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه، وصححه الألباني.

(٣) سئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: إذا رأيت بمفردي هلال عيد الفطر، ولم يعلن في البلاد عن رؤيته، فهل أفطر، وأعيّد والبلد كله سوف يصوم؟ حيث إنني أتبع حديث: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته**» أم أتابع أهل بلدي؟

فأجاب -رحمه الله-: يقول أهل العلم: إن الإنسان إذا رأى وحده هلال شوال، فإنه يجب عليه أن يصوم؛ لأن هلال شوال لا يثبت دخوله شرعًا إلا بشاهدين، ويرى بعض أهل العلم أنه يفطر سرًّا، والقول الأول هو المشهور من مذهب الإمام أحمد رحمه الله .

ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١٩/ ٥٠.

بينكم»[1]، فالمحبة بين المسلمين تورث شعورًا بالرضا متى ساد بينهم توثقت عرى العلائق بينهم، وأحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، بل ربما آثره على نفسه- كما هو حال كرام الطبع من الناس، فهم وإن كانوا قليلاً في الناس- إلا أنه لا يخلوا منهم زمان، وفاقًا لمن لا يرى خلو العصر عن حاتمي!!.

ومشاعر المحبة بين المسلمين تتولد عن عاملين، أحدهما فطري، والآخر كسبي، فأما الفطري، فهو ما جبل الله عليه الخلق، من ميل كل شيء إلى ما يوافقه، ويناسبه في الطبع، وفي الحديث: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[2].

ومجندة: أي: مجموعة، كما يقال ألوف مؤلفة، وقناطير مقنطرة، ومعناه: الإخبار عن مبدأ كون الأرواح، وتقدمها الأجساد: أي أنها خلقت أول خلقها على قسمين: من ائتلاف واختلاف كالجنود المجموعة إذا تقابلت وتواجهت؛ ولهذا ترى الخيّر يحب الأخيار، ويميل إليهم، والشرير يحب الأشرار، ويميل إليهم[3]. وتعارفها: تناسبها، وتشابهها فيما تعلمه، وتحبه، وتكرهه[4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون: ١/ ٥٣برقم(٢٠٣)عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه،كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس: ٤ / ٤٠٧برقم(٤٨٣٦) عن أبي هريرة يرفعه، قال الألباني: صحيح، سنن أبي داود: ١٠ / ٣٣٤ برقم(٤٨٣٤).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٨٢٢.

(٤) مجموع الفتاوى: ٥ / ٢٥٣.

وقديما، قيل: على أشكالها تقع الطيور[١].

وفُسِّر قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾[٢] بأن يكون الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح[٣]. وقال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٤].

والكسبي يكون بالإحسان، فالنفوس مجبولة على محبة من أحسن إليها، قال صفوان بن أمية رضي الله عنه: «**أعطاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم حنين، وإنه لأبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني، حتى إنه لأحب الخلق إليّ**»[٥].

وقال الشاعر:

أحسنْ إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحسان[٦]

---

(١) وفي مجمع الأمثال: الطيور على أُلاَّفِهَا تقع. ١/ ٤٤٢.

(٢) سورة التكوير: ٧.

(٣) ينظر: الكشف والبيان: ١٠ / ١٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الزهد، باب ٤٥: ٤ / ٥٨٩ برقم(٢٣٧٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا قط، فقال: لا : ٧/ ٧٥ برقم(٦١٦٢)، والترمذي في جامعه، أبواب الزكاة، باب ما جاء في إعطاء المؤلفة قلوبهم: ٣/ ٥٣ برقم(٦٦٦) واللفظ له.

(٦) البيت لأبي الفتح البستي، علي بن محمد، ضمن ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٢٩٣.

ويكون -أيضًا- بالمجاورة، أو الاشتراك في أمر ما، يقول ابن القيم: فإن التناسب الذي بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة، فكل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، وهذه المناسبة نوعان: أصلية من أصل الخلقة، وعارضة، بسبب المجاورة، أو الاشتراك في أمر من الأمور، فإن من ناسب قصدك قصده حصل التوافق بين روحك وروحه، فإذا اختلف القصد، زال التوافق، فأما التناسب الأصلي، فهو اتفاق أخلاق، وتشاكل أرواح، وشوق كل نفس إلى مُشاكلها، فإن شَبَه الشيء ينجذب إليه بالطبع[(١)][(٢)].

وأما الآمال: ففي وحدة المصير، والغاية المصورة في مثل حديث السفينة، الذي قال فيه ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا**

(١) وقال بعضهم: إن شدة المحبة تأتي من امتزاج الروحين؛ لما بينهما من التناسب، والتشاكل؛ ولذلك تبلغ المحبة بين الشخصين حتى يتألم أحدهما بتألم الآخر، ويسقم بسقمه.

يحكى أن رجلاً مرض من يحبه؛ فعاده المُحِب؛ فمرض من وقته؛ فعوفي محبوبه؛ فجاء يعوده؛ فلما رآه عوفي من وقته، وأنشد:

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني ... فبرئت من نظري إليه

انظر: روضة المحبين: ١/ ٧٤.

(٢) روضة المحبين: ١/ ٦٧.

في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا»(١).

ومن أعظم الآمال التي يشترك فيها المسلمون ما يرجونه من رضا الله تعالى، والفوز بجنته، والنجاة من النار، قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «**كيف تقول في الصلاة؟**» قال: أتشَهّد، وأقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: «**حولها ندندن**»(٢).

المطلب الثاني: مشاعر الأسى، والآلام.

فالآلام: منها الحسي، والمعنوي، فالحسي كالمرض، وفيه حديث: «**المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه: ٢/ ٨٨٢ برقم (٢٣٦١) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

وفي هذا الباب -أيضا- حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه يرفعه للنبي ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**».

أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي: ٤ / ٢١٤ برقم(٤٣٤٠)، والترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر: ٥/ ٢٥٦ برقم(٢١٦٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة: ١ / ٢٩٢ وهو حديث صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٢ / ٢٩٢ برقم(٧٩٢).

اشتكى كله»[1] والجوع، وفيه حديث: «**ما آمن بي من بات شبعانًا، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم**»[2]، وقولة عمر المشهورة عام الرّمادة حين قرقرتْ بطنه[3] من الجوع فقال لها: «قرقري إن شئت، أو لا تقرقري، فوالله لا شبعتُ والمسلمون جياع»[4]، والمعنوي، وهو شعور الأسى، والحزن، وقد حث الشرع على المواساة في الأحزان، فشرع التعزية، وحث على كل ما من شأنه طرد الحزن عن المؤمن، وإدخال السرور عليه، ورتب على ذلك أجورًا عظيمة، قالﷺ: «**إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم**»[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم: ٨/ ٢٠برقم (٦٧٥٤) ، عن النعمان بن بشيرﷺ.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ١ / ٢٥٩برقم(٧٥١)، من حديث أنس ﷺ، وحسّن إسناده المنذري.

ينظر: الترغيب والترهيب: ٣/ ٢٤٣.

(٣) البطن: ضد الظهر، وهو مذكر، وتأنيثه لغة.

قلت: فلعل قول عمر هذا جاء على تلك اللغة، أو لعل قول عمر (قرقري) مقصود به المعدة، وهي مؤنثة، فأنث رواة القصة الفعل مع البطن؛ تبعًا لقول عمر في (قرقري)؛ ظنًا منهم الخطاب للبطن. والله أعلم.

وينظر: الصحاح: ٥/ ٢٠٧٩، والمحكم: ٩/ ١٩١ مادة (ب ط ن).

(٤) ينظر: نفح الطيب: ٥/ ١٦٤.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١١ / ٧١برقم(١١٠٧٩)، عن ابن عباس رضي الله =

الفصل الثالث

وسائل الحفاظ على الوحدة الاجتماعية، وتعزيزها، وبيان آثارها

المبحث الأول: وسائل الحفاظ على الوحدة الاجتماعية، والإبقاء عليها.

المبحث الثاني: وسائل تعزيز الوحدة الاجتماعية.

المبحث الثالث: آثار الوحدة الاجتماعية على الأمة.

المبحث الأول: وسائل الحفاظ على الوحدة الاجتماعية، والإبقاء عليها(1):

لأهمية وحدة المسلمين، وجمعهم على كلمة واحدة، فقد حرص الإسلام على إيجاد الوسائل الكفيلة بحفظ كيان الأمة، ومنعه من التصدع، فحرم الاعتداء على النفوس، والأموال، والأعراض، بقوله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»(2)، وعظم حرمة دم المسلم، حتى جعلها كحرمة الكعبة، بل أعظم، قال عبد الله بن عمرو: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: «**ما أطيبك، وأطيب ريحك، ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك،**

=عنهما. قال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة: ٥ / ٢٩٠برقم(٢٢٩١).

(١) وهذا الباب يمتنع على الحصر، أو يكاد، وما سأذكره هنا نماذج للتمثيل، لا للحصر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله: ٨ / ١٠برقم(٦٧٠٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مالـه، ودمه، وأن نظن به إلا خيرًا»[١]؛ وذلـك لأن الاعتداء لا يتفق مع الألفة والأخوة، ولا يجتمع الأذى والحب في القلب أبدًا.

يقول الشاعر[٢]:

فـإني رأيـت الـحـب في الـصـدر والأذى

إذا اجـتـمـعـا لـم يـلـبـث الـحـب يـذهـب

وحـث على بـذل المعروف، وإغاثـة الملهـوف، وكفالة اليتيـم، وكلها أسـباب من شـأنها أن تؤلـف القلوب، وتجمعهـا على المحبـة، والتكاتف، وتزيل الشحناء، قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجـة أخيـه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسـلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن سـتر مسـلما، ستره الله يوم القيامة**»[٣]، وقال في كفالة اليتيم: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابة، والوسطى**»[٤]، كما حث على إدخال السرور على المسلم: «**إن أحب الأعمال**

---

(١) أخرجـه ابـن ماجـه في سـننه، كتـاب الفتـن ، بـاب حرمـة دم المؤمـن ومالـه : ٢/ ١٢٩٧ برقم(٣٩٣٢).قـال الألباني: صحيح.انظر: صحيح سـنن ابن ماجه : ٨/ ٤٣٢ برقم(٣٩٣٢).

(٢) هو: أسماء بن خارجة الفزاري. ترجمته في تاريخ دمشق: ٩/ ٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه: ٢/ ٨٦٢ برقم(٢٣١٠)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه و سلم.

إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم»(١).

ولما كانت النفوس معرضة للوقوع في الخطإ؛ إذ العصمة، للأنبياء، كان حتما أن يقع ما يعكر الصفو، ويؤثر في النفوس، فدعا الطرف الآخر إلى عدم قطع طريق العودة على المخطئ، فرغب في كظم الغيظ، والتحلي بالصبر، والحلم، والصفح، قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»**(٢).

«**من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره في أي الحور شاء»** (٣).

بهذا يكون الإسلام قد سعى إلى تحقيق الوسائل التي تعين على الإبقاء على أخوة المؤمنين، وتحابهم.

المبحث الثاني: وسائل تعزيز الوحدة الاجتماعية.

حث الإسلام على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، التي من شأنها أن تعزز الوحدة بين المسلمين، وتوثق عرى المحبة بينهم، فدعا إلى طلاقة

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١١ / ٧١برقم(١١٠٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة : ٥ / ٢٩٠برقم(٢٢٩١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله : ١ / ٣٦برقم(١٢٦) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب البر والصلة ، باب في كظم الغيظ : ٤ / ٣٧٢برقم(٢٠٢١) وقال: هذا حديث حسن غريب.

الوجه، وطيب الكلام، فإن ذلك من البر فـ «**البر شيء هين، وجه طليق، وكلام لين**»[١]، وجعل ذلك من الصدقة، والمعروف، فقال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[٢]، وقال: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[٣]، وأرشدهم إلى ما يحصل به تحابهم، وفوزهم بالجنة، فقال ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[٤]، وقال ﷺ: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٥].

وحث على الكرم[٦]، والتهادي، لأنها من أسباب نشر المحبة بين

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٦ / ٢٥٥ برقم(٨٠٥٩)، من قول ابن عمر رضي الله عنهما موقوفًا.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف: ٤ / ٣٣٩ برقم(١٩٥٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء: ٨ / ٣٧ برقم(٦٨٥٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون: ١/ ٥٣ برقم(٢٠٣)عن أبي هريرة .

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام: ٢/ ١٠٨٣ برقم(٣٢٥١)، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه :٣/ ٣٣٤برقم(١٣٣٤).

(٦) ومدائح العرب وتمدحهم بالجود، وطلاقة الوجه كثيرة من تلك، قول الشاعر: =

المسلمين، في أحاديث كثيرة منها: «**تهادوا تحابوا؛ فإن الهدية تذهب وحر الصدر**»[1].

المبحث الثالث: آثار الوحدة الاجتماعية على الأمة.

اتحاد المسلمين، وجمع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم مطلب عظيم، يحقق آثارا كبيرة على الأمة، من تلك الآثار:

حصول محبة الله -تعالى- ومعيته؛ لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2]، وقوله ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**»[3].

حصول البركة في الطعام، والزكاة في الأجر، فعن وحشيّ بن حرب، أنّهم

= أخٌ لكَ ما تراهُ الدهرَ إلا ... على العِلاّتِ بسّاماً جوادا
سألناهُ الجزيلَ فما تلكّا ... وأعطى فوقَ مُنيتنا وزادا
فأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنا ... فأحسنَ ثم عَدْتُ له فعادا
مراراً لا أعودُ إليه إلا ... تبسمَ ضاحكاً وثنى الوسادا

الأغاني: ١٥/ ٣٦٩.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الولاء والهبة، باب في حث النبي صلى الله عليه وسلم على التهادي: ٤/ ٤٤١ برقم(٢١٣٠) عن أبي هريرة .قال الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف سنن الترمذي: ٥/ ١٣٠برقم(٢١٣٠).

(٢) سورة الصف: ٤.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه،كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة: ٤ / ٤٦٦ برقم (٢١٦٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول: حسن بشواهده.

قالوا: يا رسول اللّه! إنّا نأكل، ولا نشبع، قال: «**فلعلّكم تأكلون متفرّقين؟**»، قالوا: نعم، قال: «**فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم اللّه عليه يبارك لكم فيه**»[١].

وكلما كثر الجَمْع في الصلاة كان أزكى، وأعظم للأجر، وأحب إلى الله؛ لقول النبي ﷺ: «**صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر، فهو أحب إلى الله تعالى**»[٢].

سبيل النجاة من الفتن: عن حذيفة بن اليمان- رضي اللّه عنهما- قال: كان النّاس يسألون رسول اللّه ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشّرّ، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول اللّه! إنّا كنّا في جاهليّة، وشرّ، فجاءنا اللّه بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قال: «نعم»...إلى قوله: فقلت: يا رسول اللّه! فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم**»[٣].

الاتحاد سبب القوة، والمنعة، والتأبي على الأعداء، ومن هؤلاء

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام: ٢ / ١٠٩٣ برقم(٣٢٨٦) واللفظ له، و أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع على الطعام: ٣/ ٤٠٦ برقم(٣٧٦٦)، وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٣١٩٩)، وهو في الصحيحة (٦٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في فضل صلاة الجماعة: ١/ ٢١٧ برقم(٥٥٤)، قال الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٢/ ٥٤ برقم(٥٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة: ٦/ ٢٠ برقم(٤٨٩٠).

الأعداء، وأخطرهم الشيطان، قالﷺ: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**»[1] و قال ﷺ: «**ما من ثلاثة نفر في قرية، ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[2].

وقد اتفق العقلاء من كل ملة، ونحلة في القديم، والحديث على أن الوحدة سبيل العزة، والنصرة، يروى أن حكيمًا أراد أن يوصي أولاده عند موته، ويحثهم على الاتحاد، فقدم إليهم حزمة من العِصي، وطلب من كل واحد منهم كسرها، فعجزوا، فلما انفك الرباط، وتفرقت الأعواد، كسرت واحداً واحداً[3].

فقال في ذلك[4]:

كونوا جميعًا يا بنيَّ إذا اعترى
خطبٌ ولا تتفرقوا آحادا

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه،كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة: ٤ / ٤٦٥ برقم(٢١٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الإمامة و صلاة الجماعة ، و من كتاب الإمامة و صلاة الجماعة: ١/ ٣٣٠ برقم (٧٦٥).قال الألباني: حسن صحيح. انظر:صحيح الترغيب والترهيب : ١/ ١٠٢برقم(٤٢٧).

(٣) ينظر: خلق المسلم: ١٥١.

(٤) هو: معن بن زائدة.

تـأبـى الــرمــاحُ إِذا اجـتـمـعْـنَ تـكـسـراً
وإِذا افــتــرقْــنَ تــكــســرتْ أفـــــرادا[١]

-أنـه يسـاعد المجتمع الإسـلاميّ على مواجهـة التّحدّيـات، وعن هذا المعنى يعبر الشاعر[٢] بقوله:

وفي كثرةِ الأيدي عن الظلمِ زاجرٌ ... إِذا حضرتْ أيدي الرجالِ بمشهدِ
ومن لم يكنْ ذا ناصرٍ عندَ حقهِ ... يُغلَّبْ عليه ذو النصيرِ ويضهدِ[٣]

- يقضـي على العصبيّـة القبليّة، والنعرات الجاهلية التي تشـتت شـمل المسلمين.

- أنه يحقّق مطلبًا إسـلاميًّا أصيلاً، حثّ عليه الإسلام في صلاة الجمعة، وصلاة الجماعة، وأداء الحجّ.

---

(١) ينظر: مجمع الحكم والأمثال: (الشاملة).

(٢) هو عدي بن زيد العبادي.

(٣) ينظر: مجمع الحكم والأمثال: (الشاملة).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، محمد، وعلى آله، والتابعين.

أما بعد:

فأثني بحمد الله أخرى، وأشكر له تمجيدا وحبا، أن أعانني على إتمام هذا البحيث، أسأل الله أن ينفع به، ويأجر عليه من فضله الواسع، إحسانا منه، وبرا، وقد كان البحث في هذا الموضوع شائقا، والغوص في غماره ماتعا... فقد جلّى البحث طرفا من عظمة الإسلام في شرائعه، وتشريعاته، يمكن ملاحظتها في النقاط التالية:

١ - أن الإسلام دين عالمي، لم يقف عند حدود اللون، والجنس، واللغة، وغيرها من اعتبارات البشر، ولم تكن دعوته مقصورة على جيل، أو زمن محدد، ولم تعتمد في تبليغها على القهر، والتسلط، بل كانت دعوة سلام، ووئام، وإقناع، دون إكراه؛ إذ ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1]، ودعوة شمول،وعموم لكل البشر، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[2] بل وللجن أيضًا ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) سورة الجن: ١، ٢.

٢- أن توحيد الصفوف، وجمع الكلمة مطلب شرعي، دعت إليه نصوص الوحي الكثيرة، كقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾(١).

٣- أن توحيد صف الأمة، يقوي شوكتها، ويرهب عدوها.

٤- أن اجتماع الأمة، وائتلاف الإخوان يورث السعادة، والرضا، ويحقق التكافل الاجتماعي.

٥- أن تعاليم الإسلام، وتشريعاته كفيلة بتحقيق السعادة الدنيوية، التي تقود إلى السعادة الأبدية.

٦- أن في الاجتماع، والتوحد تحقيق كفاية الأمة اقتصاديا، وعسكريا، مما يسد حاجتها إلى الأعداء.

٧- أن الحاجة إلى موضوع الوحدة، وتوحيد الصف قائمة، والنفع به كبير.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة الصف: ٤.